جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

رحابة المعايير النقدية في العتبات الأدبية
مقدمة أحمد أمين لديوان حافظ إبراهيم نموذجاً

إعداد
د/ ياسر السيد عبدالعال البنَّا
أستاذ الأدب والنقد المساعد
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا

(العدد الخامس والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. أكتوبر)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)

علمية- محكمة- نصف سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

رحابة المعايير النقدية في العتبات الأدبية مقدمة أحمد أمين لديوان حافظ إبراهيم نموذجًا

ياسر السيد عبدالعال البنَّا

قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، قنا، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: yasserelsayed.4119@azhar.edu.eg

الملخص:

تتصدر دواوين الشعر عادة مقدمات أدبية أو تقريظات يكتبها أصحاب تلك الدواوين أو غيرهم من أصحاب الصيت والذيوع بين أهل الأدب ونقده، وهي مقدمات يغلب على وظيفتها التعريف بصاحب الديوان، وموضوعات شعره وعصره الأدبي، وربما ضمت حديثًا عن مذهبه الأدبي وتوجهه الفكري وبيئتيه الداخلية والخارجية، وأثر كل ذلك على شعره، غير أن بعض هذه المقدمات تطول وتَتزيَّد حتى لتضم وجهات نظر خاصة ورؤى ناقدة تعين المتلقي على الفهم وتمنحه بعضًا مما قد يخبئ النص من معان وهبات، وتهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على زمن تلك المقدمات الرصينة ذات المناهج الأصيلة الراشدة، والرؤى القويمة والناقدة، ورأيت المقدمة المطولة بقلم "أحمد أمين" لديوان "حافظ إبراهيم" تفي بذلك كله حيث ما تبديه لـ"أحمد أمين من توجه أدبي ناقد جاء واضحًا فيما ضمته المقدمة من نقد موازن بين "حافظ إبراهيم" وبعض شعراء عصره، وكذلك ما ضمته من نقد فني لأدوات: الخيال، والعاطفة، والصياغة، والأسلوب، والموسيقى، وغيرها عند حافظ، وكذلك ما أورد فيها "أحمد أمين" من نقد تعليلي ومنهج شارح، ونقدات شخصية تمس شخصية صاحب الديوان وتؤثر في تلقي فنه، وعلى ذلك جاءت خطة هذا البحث في مقدمة وخمسة مباحث تحمل عناوين دراسة النقد: "الموازن، والفني، والموضوعي، والتعليلي، والشخصي" في مقدمة

الـديوان، ثـم خاتمـة تضـطلع بـأهم نتـائج البحـث ومـا تنطـوي عليـه مـن توصيات، وذلك بمنهج تجذيري فاعل يرد كل مبحث لمنهجه الأصيل في النقد قصده صاحب المقدمة أو لم يقصده، مع التقديم له بدرس اصطلاحي موجز يتفق ومقامه، ومنهج بحثي يعي نقد النقد من حيث الموضوع، ويعي كذلك من ناحية الفن والشكل أداء حق الهامش وخدمة النصوص.

الكلمـات المفتاحيـة: النقـد التعليلـي، النقـد الشـارح، عتبـات النصـوص، التصديرات الأدبية، المقدمات.

The spaciousness of critical thresholds in literary introductions Ahmed Amin's introduction to the Diwan of Hafez Ibrahim as a model

Yasser Elsayed Abdelaal Elbanna
Department of Literature and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Qena, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt
Email: yasserelsayed.4119@azhar.edu.eg

Abstract:
Poetry collections are usually lead literary introductions or praises written by the owners of these books or other people of repute and criticism among literary people. All of this is based on his poetry, but some of these introductions are lengthened and increased even to include special points of view and critical visions that help the recipient to understand and give him some of what the text may hide from meanings and gifts. The critic, and I saw the lengthy introduction by "Ahmed Amin" to the book "Hafez Ibrahim" fulfills all of that, as what you show to "Ahmed Amin from a critical literary approach came clear in the introduction that included a balanced criticism between "Hafez Ibrahim" and some poets of his time, as well as what it included from An artistic criticism of the tools: imagination, emotion, formulation, style, music, and others according to Hafez, as well as what was mentioned by Ahmed Amin from explanatory criticism and an explanatory approach, and personal criticism that affects the personality of the owner of the diwan and affects the reception of his art, and accordingly the plan of this research came in Presenter And five sections bearing the titles of the study of

criticism: “balanced, technical, objective, explanatory, and personal” in the introduction to the Diwan, then a conclusion that undertakes the most important results of the research and its recommendations, with an effective radical approach. He did not mean it, while presenting it with a brief idiomatic lesson consistent with its position, and a research approach that is aware of criticism in terms of the topic, and is also aware of the art and form, the performance of the right of margin and the service of texts.

Keywords: Explanatory criticism, Explanatory criticism, Text thresholds, Literary exports, Introductions.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد:

فالأدباء يلتزمون عادة تقديم دواوينهم بمقدمات أدبية وتصديرات يكتبونها بأقلامهم، أو يطلبون إلى أصحاب الذيوع والصيت من الأدباء والنقاد أن يكتبوها، وينـدر أن يخلو ديوان أو مجموعة أدبية من هذه المقدمات، وهي عتبات وتمهيدات يغلب على مهمتها: التعريف بصاحب الديوان، وموضوعات شعره، وعصره الأدبي، وربما ضمت حديثًا عن مذهبه وتوجهه الفكري، وبيئتيه الداخلية والخارجية، وأثر كل ذلك على شعره.

وقد تضم تلك المقدمات –من باب تمام الفائدة– بعض معايير ناقدة، ووجهات نظر خاصة، وهذا ما يبدو جليًا في تلك المقدمات الأدبية والتصديرات المذيلة بإمضاء أدباء كبار أمثال "العقاد"، و"طه حسين"، و"الزيات"، وغيرهم، سواء قدّموا لكتاباتهم أو لكتابات غيرهم، حين يمدون إلى العمل يد النقد المنصف البنَّاء الذي يعين المتلقي على الفهم، ويمنحه قدرًا من مكنون معاني النص وهباته.[1]

لكنه لا يَخفَى ما ابْتُلِيَ به زماننا من مقدمات وتصديرات وتقريظات تنأى عن حيدة النقد وموضوعيته، وتميل إلى المجاملة والمحاباة، وتسرف في سرد ألوان الإطراء والثناء مما قد يصرف المتلقي عن الجادة والفائدة.

وتكمن إشكالية هذه الدراسة في التصدي لهذا حين تهدف إلى تأصيل التنظير النقدي للأدب وتسليط الضوء على زمن تلك المقدمات الرصينة ذات المناهج الأصيلة الراشدة، والرؤى القويمة والناقدة، ورأيت

١– ينظر: "مقدمات العقاد"– د/ عبد الرحمن حسن قائد– ص٩– ط آفاق المعرفة٢٠١٩م.

المقدمة المطولة بقلم "أحمد أمين"[١] لديوان "حافظ إبراهيم"[٢] تفي بذلك كله حيث ما تبديه لـ"أحمد أمين من توجه أدبي ناقد جاء واضحًا فيما ضمته المقدمة من نقد موازن بين "حافظ إبراهيم" وبعض شعراء عصره، وكذلك ما ضمته من نقد فني لأدوات: الخيال، والعاطفة، والصياغة، والأسلوب، والموسيقى، وغيرها عند حافظ، وكذلك ما أورد فيها "أحمد أمين" من نقد تعليلي ومنهج شارح، ونقدات شخصية تمس شخصية صاحب الديوان وتؤثر في تلقي فنه.

وعلى ذلك جاءت خطة هذا البحث في مقدمة وخمسة مباحث تحمل عناوين دراسة النقد: "الموازن، والفني، والموضوعي، والتعليلي، والشخصي" في مقدمة الديوان، ثم خاتمة تضطلع بأهم نتائج البحث وما تنطوي عليه من توصيات، وذلك بمنهج تجذيري فاعل يرد كل مبحث

١- أحمد أمين بن الشيخ إبراهيم الطباخ (١٨٧٨-١٩٥٤م): عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، مولده ووفاته بالقاهرة، درس مدة قصيرة في الأزهر، وتخرج في مدرسة القضاء الشرعي، وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية، ثم عين مدرسًا بكلية الآداب بالجامعة المصرية ثم عميدًا لها، كان من أعضاء مجمع اللغة بالقاهرة، ومشرفًا ثم رئيسًا على "لجنة النشر والتأليف"، من مؤلفاته: "فجر الإسلام"، و"وضحى الإسلام"، و"ظهر الإسلام"، وفيض الخاطر".["معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى عام ٢٠٠٢م"- كامل سلمان الجابوري- ١١١/١- ط دار الكتب العلمية "بيروت"- الأولى ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م]

٢- محمد حافظ إبراهيم فهمي: شاعر مصر القومي، ولد في ذهبية بالنيل عام ١٨٧٢م بمدينة ديروط، توفي أبوه وهو صغير، فنشأ يتيمًا في رعاية خاله، عمل في المحاماة، ثم التحق بالمدرسة الحربية وتخرج فيها لكنه أحيل إلى الاستيداع بعد ثلاث سنوات، فعمل محررًا في جريدة "الأهرام" ولقب بشاعر النيل، ثم رئيسًا للقسم الأدبي بدار الكتب المصرية، وتوفي بالقاهرة عام١٩٣٢م. [ينظر مقدمة: "ديوان حافظ إبراهيم"-ضبط وشرح: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الإبياري- ص٣:٤٣- ط دار العودة- بيروت دون تاريخ].

لمنهجه الأصيل في النقد قصده صاحب المقدمة أو لم يقصده، مع التقديم له بدرس اصطلاحي موجز يتفق ومقامه، ومنهج بحثي يعي نقد النقد من حيث الموضوع، ومن حيث ما يتفق معه من درس سابق[1]، ويعي كذلك من ناحية الفن والشكل أداء حق الهامش وخدمة النصوص، والله –عز وجل– أسأل أن يُسَلِّم هذا المنهج ويسدد عزم صاحبه ورمْيه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الباحث

١– وقد عنيت بهذا الدرس السابق ما طالته يدي من دراسات عامة في المقدمات الأدبية مثل: "مقدمات العقاد" للدكتور عبد الرحمن حسن قائد_ ط آفاق المعرفة ٢٠١٩م، و"تحليل خطاب المقدمات في كتاب كليلة ودمنة" لجودة مصطفى عطية (طبعة دار اليمامة للنشر والتوزيع٢٠١٥م]، وغيرهما، أما موضوع دراستي هذه، ورصد عناوين "النقد الموازن، والفني، والموضوعي، والتفسيري، والشخصي" في مقدمة أحمد أمين لديوان حافظ إبراهيم فلم أطالعه فيما أحسب أو أعرف.

المبحث الأول

" درس النقد الموازِن "

المقارنة بين المنتمين للأدب – بغرض النقد– تعد خطوة أولى على طريق تحرِّي الجمال وهي فطرة سليمة ربما تعود لعصر الأسواق الأدبية وفكرة تقسيم الفحول لطبقات، بل لعلها ظهرت منذ ظهور الأدب وتباري الأدباء في إبداعه، فالناس بطبيعتهم يحبون المقارنة بين الأشياء، وبخاصة تلك التي تعود إلى أسباب مشتركة، وليست خفية كتب الموازنات النقدية قديمًا وحديثًا، وتأسيسًا على ذلك ترصد هذه الدراسة ما جاء في مقدمة "أحمد أمين" لديوان حافظ من نقد موازن، وترى أنه جاء ظاهرة نقدية واضحة وجديرة بالدرس والتحليل بما ضمته المقدمة من مقارنات بين "حافظ إبراهيم" وشعراء عصره: "شوقي، والبارودي، وإسماعيل صبري"[١].

أ– بين حافظ إبراهيم وأحمد شوقي:

لعل من الطبعي أن تأتي في طليعة الموازنات التي ضمتها المقدمة تلك التي عقدها "أحمد أمين" بين صاحب الديوان وصنوه الأمير في مواضع متفرقة بدأها مبكرًا بالحديث عن حياة "حافظ" ومولده لأم تركية، يقول: "مع أن الدم التركي كان يجري في عروقه كالدم المصري، لم يترنم بمدح الترك ترنمه بمدح مصر والعرب ولم يشد بذكر الأتراك إشادة شوقي بهم.... فكان شوقي إذا شعر في الترك وحروبهم والخلافة وشؤونها شعرت أنه يتحدث عن

١– إسماعيل صبري باشا (١٨٥٤–١٩٢٣م): من شعراء الطبقة الأولى في العصر الحديث، تعلم بالقاهرة، ودرس الحقوق بفرنسا، وتدرج في مناصب القضاء بمصر، ثم عين محافظًا للإسكندرية، فوكيلًا لنظارة الحقانية، وكان كثير التواضع شديد الحياء، توفي بالقاهرة ورثاه كثيرون من الشعراء والكتاب، وجمع ما بقي من شعره بعد وفاته في ديوان. ["معجم تراجم الشعراء الكبير"– د/يحيى مراد – ١٦٤/١– ط دار الحديث– القاهرة ١٤٢٧=٢٠٠٦م].

قومه، يفخر بنصرهم، ويعتز بعزهم، ويراعي العلاقة القوية بين "عابدين" و"يلدز"، وإذا شعر حافظ في ذلك لم تر عصبية جنسية، إنما هي عصبية دينية ووطنية..." [١]

ويعلل "أحمد أمين" ذلك بأثر البيئة الداخلية لكل منهما: "فما كان في شوقي دم تركي أرستقراطي، وما في حافظ دم تركي ديموقراطي، وتركية شوقي غذتها بيئة القصور التي ولد ببابها، وعاش في أكنافها، وتنفس في جوها، أما تركية حافظ فغلبتها حياته البائسة وعيشه في أوساط الجماهير"[٢].

في هذه المقارنة بين "شوقي وحافظ" يجسد "أحمد أمين" المفارقة بين "الأرستقراطية"، وقد رآها فيما يوحي به مديح "شوقي" للدولة العثمانية من فخر بقومه ونسبه، ومراعاة للعلاقة بين الخديوي في مصر والخليفة في الباب العالي، فضلًا عما يوحي به من طراوة البيئة ورغد العيش، وبين "الديمقراطية" وقد رآها أحمد أمين فيما يوحي به مديح "حافظ إبراهيم" للدولة العثمانية من الاندماج في حياة الناس، يعيش عيشهم ويحيا حياتهم ويعبر عنهم، فضلًا عما يوحي به ذاك المديح من نصرة للدين وانتماء للوطن وخشية على الخلافة الإسلامية رمز الوصل بينهما.[٣]

وقبل أن يتسلل إلى نفس القارئ شعور أن "أحمد أمين" يقدم حافظًا على شوقي "تراه في المقدمة يترك الحكم لحافظ نفسه، يقول: "كان يرى في نفسه أنه في هذا العهد أكبر شاعر في مصر لا يفضله إلا شوقي"[٤]،

١- "مقدمات أحمد أمين"- ص٤٤.

٢- المرجع السابق.

٣- ينظر: "حافظ إبراهيم شاعر القومية العربية"- محمد هارون الحلو- ص٢٩- ط الدار القومية للطباعة والنشر ٢٠١٣م.

٤- المصدر السابق ص٦٢.

ويورد "أحمد أمين" في ذلك قول "حافظ إبراهيم" من قصيدته التي قالها سنة ١٩٠١م: [١]

قـــل للأُلـــى جعلـــوا للشـــعرِ جـــائزةً فـيمَ الخـلافُ! أَلَـمْ يرشـدْكمُ اللهُ!

إنـــي فتحـــتُ لهـــا صـــدرًا تليـــقُ بـــه إن لـــم تُحلّـــوهُ فـــالرحمنُ حـــلَّاهُ

لـم أخْـشَ مـن أحـدٍ فـي الشـعرِ يسـبقني إلا فتـىً مـا لَـه فـي السَّـبقِ إلَّاهُ

ذاك الـــذي حكَمَـــتْ فينـــا يَراعَتُـــه وأكـــرمَ اللهُ والعبـــاسُ مثـــواهُ

وغير خفي ما يضمه البيت الرابع من "مديح بما يشبه الذم" لأمير الشعر، حيث يقدم "حافظ" نفسه على سائر شعراء عصره إذا استثنى "شوقيا"، ثم يُلْمح من طرف خفي أن هذا الفضل لشوقي ليس لشاعريته وإنما لقربه من القصر وكونه شاعر الأمير[٢]، وعلى الرغم من فطنة "أحمد أمين" لما يرمي إليه البيت، إلا أنه يحكم ناقدًا بسلامة هذا القول لحافظ، ويعلل حكمه الناقد بقوله: "لأن حظَّ مصر في هذا العصر من الشعر، بل من الأدب عامة، كان حظًا ضعيفًا، فلم ير حافظ له ندًا غير شوقي".[٣]

والحق ربما يسلم الحكم لـ"أحمد أمين" بنِدِّية "حافظ" لـ"شوقي" أو حتى تقديمه أحدهما أحيانًا على الآخر، ولكن لا يسلم له هذا التعليل بأن حظ مصر من الأدب والشعر في هذا العصر قليل، لاسيما وقد عاصرهما فحول الشـــعر الحـــديث أمثـــال "البـــارودي"، ونـــاجي، والرصـــافي، و"محمـــد

١- "ديوان حافظ إبراهيم" ٢١٢/١، والأبيات من بحر البسيط.

٢- ينظر مقال: "خمسة وسبعون عامًا على رحيل شوقي"- محمود شحاته- ص١٤- الرباط الأدبي "نشرة غير دورية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة"- عدد ديسمبر ٢٠٠٧م.

٣- "مقدمات أحمد أمين" ص٦٢.

عبدالمطلب"[1]، و"إسماعيل صبري"، و"أحمد محرم"[2]، وغيرهم على تعدد مدارس الأدب ومذاهبه.

ولعل "أحمد أمين" قد رضي لحافظ إبراهيم تقديم نفسه على سائر شعراء عصره، ذلك أنه حين يبدو – في مقدمة الديوان– منتقدًا لحافظ فبأسلوب التعليل والتفسير، والتماس الأعذار والتبرير، ومن ذلك ما جاء من انتقاده حافظًا في تحجيمه انطلاقة شعره وقعوده عن كثير من أغراض الشعر خوفًا على وظيفته بعد أن تسلم عمله الحكومي في دار الكتب المصرية.

غير أن "أحمد أمين" وإن بدا ملتمسًا العذر لـ"حافظ إبراهيم" في توقفه عن الشعر السياسي، وتصوير ظواهر المجتمع، إلا أنه قدَّم له اللوم في سكوته عن أغراض الشعر الأخرى، وفضَّل عليه في ذلك "شوقيًا"، يقول متعجبًا ومستنكرًا: "لماذا سكتَ "حافظ" عن فنون الشعر الأخرى والمجال أمامه فسيح؟ فليس كل الشعر سياسة واجتماعًا، فهناك شعر الطبيعة، وهناك شعر الوصف، وغيره من ألوان الشعر، ولم تكن وظيفته تمنعه أن

١- محمد بن عبد المطلب بن واصل (١٢٨٨-١٣٥٠هـ=١٨٧١-١٩٣١م): شاعر مصري، من الأدباء الخطباء، ولد بقرية باصونة بمحافظة سوهاج، وتعلم في الأزهر بالقاهرة، وتخرج مدرسًا، وشارك في الحركة الوطنية بشعره ومقالاته وخطبه، وتوفي بالقاهرة، من مؤلفاته: "تاريخ أدب اللغة العربية"، و"إعجاز القرآن"، وله ديوان شعر. [ينظر: "الأعلام"- خير الدين الزركلي- ٢٤٧/٦- ط دار العلم للملايين- الطبعة الخامسة عشرة٢٠٠٢م.

٢- أحمد محرم بن حسن بن عبدالله (١٢٩٤-١٣٦٤هـ=١٨٧٧-١٩٤٥م): شاعر مصري، حسن الوصف، نقي الديباجة، تركي الأصل، ولد في إبيا الحمراء، من قرى الدلنجات بمصر، وتلقى مبادئ العلوم، وتثقف على يد أحد الأزهريين، وحفلت أيامه بأحداث السياسة والأحزاب، فانفرد برأيه مستقلًا عن كل الأحزاب. [ينظر: "معجم تراجم الشعراء الكبير- ص٧١]

يقول في كل ذلك، أو في شيء منه، وفي شوقي المثل لهذا، فقد كان مقيدًا في القصر بأشد من قيود "دار الكتب"، ومع هذا ظل يقول في فنون متنوعة لا تتعارض مع تقاليد القصر...".[١]

لكن "أحمد أمين" كعادته في نقده لـ"حافظ إبراهيم" عاد بأسلوب التبرير والتعليل يلتمس له العذر في ذلك أيضًا، يقول: "ولكن ما ذنب حافظ؟! ونبوغُه إنما يتمثل في ثورته، وإجادتُه في فورته، وطبيعتُه في تعليمه، ودربتُه تدعو إلى النبوغ في سياسياته واجتماعياته، لا في غزله وخمرياته، وما يعيب الموسيقى أن يكون مَلِكَ العود، وليس القانون، أو الكمان، أو الناي، فمَلِكٌ في إحداها خير عندي من سوقة في جميعها...".[٢]

والحق لا أرى هذا التعليل يسْلَم لـ"أحمد أمين"، وإلا فلماذا قدَّم عليه في ذلك شوقيًا، وكذلك لا أرى هذا التعليل ينهض شافعًا لسكوت "حافظ إبراهيم" عن الشعر خوفًا، لكني في الوقت ذاته لا أرى اللوم على هذا الخوف منصفًا حين يتوجه إليه، وإنما أراه حريًا بالتوجه لمن يخافهم الشاعر وقد جعلوا من الإبداع الوطني الثائر والمتألم سببًا للخوف والضيم.

ولعل هذا يلحق بما جاء في "المقدمة" من أن طلاب المدارس الثانوية العالية كانوا منقسمين بين مَن يتعصب لـ"حافظ، ومن يتعصب لـ"شوقي"، وكل من الفريقين يقدم صاحبه على الآخر، وفي ذلك يقول "أحمد أمين" ناقدًا: "وكُنَّا نلاحظ أن مَنْ فضَّل حافظًا؛ فلأن شعره غذاء قلبه، وغذاء وطنيته، ومن فضَّل شوقيًا؛ فلفنه وخياله، فشبيبة الوطنية إمامهم حافظ، وشبيبة الفن إمامهم شوقي...". [٣]

١- "مقدمات أحمد أمين" ص٧١.

٢- " مقدمات أحمد أمين" ص٧٢.

٣- المرجع السابق ص٧٠.

فقد ذاع عن "حافظ إبراهيم" أنه أعظم من ألقى الشعر في مصر[١]، حين يحرك عواطف جمهوره ويستحوذ على مسامعهم بطريقة إلقائه، ونبرات صوته، وحسن إجادته، كما يؤثر فيهم بشعره ومن أجل هذا يرى أحمد أمين ألّا يُنقد شعر حافظ بقراءة ديوانه بعيدًا عن براعة إلقائه، يقول ناقدًا ومنبهًا: "يحسن ألا يقوّم شعر حافظ ومقدار أثره في سامعيه بمقدار ما يقيسه قارئ ديوانه، فهو بقراءته يفقد جزءًا كبيرًا من تأثيره السحري الذي كان يتركه في سامعه...". [٢]

وإلى هذا يردُّ "أحمد أمين" –بحسه النقدي وبأسلوب التعليل والتبرير– ما أورده في مقدمته أن "حافظًا" "كان يطيل الوقت في تخير اللفظ الذي يحسن وقعه في السمع، كما يتخير الانسجام فيتغنى بالبيت قبل أن يدخله في عداد شعره، وينصت إلى جرسه ووقعه على سمعه قبل أن يبدأ بإيقاعه على أسماع الناس...". [٣]

وربما مراعاة لغرضه الرئيس وهو التقديم لديوان "حافظ إبراهيم" لم يذكر "أحمد أمين –في المقابل– صنيع "شوقي" مع جمهوره، على الرغم من أنه كان بصدد الموازنة بين الشاعرين، إلا أن ذلك ذاع على ألسنة كثير من النقاد والمبدعين[٤]، ومنهم "فاروق شوشة"[٥]، في قوله: "كان شوقي ضعيف

١– ينظر: المرجع نفسه ص٦١.

٢– المرجع نفسه ص٧٠.

٣– " مقدمات أحمد أمين" ص٧٠.

٤– ينظر: "شاعر الشعب وشاعر النيل"– د/ يوسف نوفل– ص٢٩– ط الدار المصرية اللبنانية– القاهرة١٩٩٧م.

٥– فاروق محمد شوشة (١٩٣٦– ٢٠١٦م): ولد بمحافظة دمياط ، حفظ القرآن، تخرج في كلية العلوم١٩٥٦م، وفي كلية التربية جامعة عين شمس عام١٩٥٧م، التحق بالإذاعة حتى أصبح رئيسًا لها عام١٩٩٤م، حصل على العديد من الجوائز منها: جائزة الدولة في الشعر عام١٩٨٦م، وجائزة النيل عام٢٠١٦م، من دواوينه: "إلى مسافر"، و"العيون المحترقة"، و"لؤلؤة في القلب".[ينظر: "معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى عام ٢٠٠٢م– ٤٠٩/٤]

الصوت يلجأ إلى اثنين من طلاب الأزهر هما كامل الشناوي[١]، ومحمد خلف الله أحمد[٢]؛ ليلقيا قصائده في المحافل، فلا يتحرك الناس، لأن المنشد الراوي ليس كصاحب القصيدة، ثم يصعد حافظ بعده فيكتسح شوقي، وفي اليوم التالي تنشر صحيفة "المقطم" القصيدتين جنبًا إلى جنب، فتظهر قصيدة شوقي كالسماء ما تطاولها سماء..."،[٣] في حكم نقدي واضح بمطاولة "حافظ" لـ"شوقي"، ولكن حين يلقى شعره على الجمهور، وحُق لـ"فاروق شوشة" –يرحمه الله– "فليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة"[٤]، المستأجرة"[٤]، أما حين يكون طريق التلقي القراءة فسبق "شوقي" ثابت وسماؤه عالية وشعره يظل يحلق بعيدًا.

١– مصطفى كامل الشناوي (١٩٠٨–١٩٦٥م): شاعر وصحفي مصري، ولد بمحافظة الدقهلية، درس بالأزهر، وعمل بالصحافة مع الدكتور "طه حسين" في جريدة "الوادي" عام١٩٣٠م، عرف برقة شعره الغنائي، من مؤلفاته: "لست قلبي"، و"اعترافات أبي نواس"، وأوبريت "جميلة".[ينظر: شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، موقع: https://ar.m.wikipedia.org]

٢– محمد خلف الله أحمد (١٩٠٤–١٩٨٣): شاعر وأديب مصري، ولد بمحافظة سوهاج، حفظ القرآن الكريم صغيرًا، وتخرج في دار العلوم، ودرّس بها بعد أن نال الماجستير في الآداب جامعة لندن، كما عين للتدريس بجامعة القاهرة فالإسكندرية، وصار وكيلًا لجامعة عين شمس، كان عضوًا بمجمع اللغة العربية ومجمع البحوث الإسلامية، من مؤلفاته: "دراسات في الأدب الإسلامي"، و"الإسلام والحضارة". [ينظر: "إتمام الأعلام"– د/ نزار أباظة، ومحمد رياض المالح– ص٢٣٢– ط دار صادر (بيروت)– الأولى١٩٩٩م.]

٣– مقال بعنوان: "حافظ أكثر شعراء جيله منافسة لشوقي"– فاروق شوشة– موقع اليوم السابع: m.yom7.com بتاريخ الأحد ١٠ يناير ٢٠٢١م.

٤– ورد عن عمر بن ذر ت١٥٦هـ: سأل أباه: يا أبت مالك إذا تكلمت أبكيت الناس وإذا تكلم غيرك لم يبكهم، فقال: يا بني: ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة".[ينظر: "ربيع الأبرار ونصوص الأخبار"– أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري– ت: عبد الأمير مهنا– ١٦٤/٤– ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت)– الأولى١٤١٢هـ].

وبعد هذا العرض يمكن القول إن "أحمد أمين" في رصده الموازن بين "حافظ وشوقي" –في المقدمة– لم يكن يصدر الأحكام القطعية أو المطلقة، كما أنه لم يصرح بتقديم أحدهما على الآخر، وحين يصدر هذا منه في سمة موضوعية أو فنية نراه يعمد إلى المنهج التفسيري والتعليلي فيلتمس التعِلَّات لمن بهتت لديه تلك السمة، ولا أرى "أحمد أمين" بدعًا في عدم التصريح بسبق أحدهما[١]، فلعله ينهج منهج الآمدي[٢] حين وازن بين شعر أبي تمام والبحتري يقول: [٣] "ولست أحب أن أطلق القول بأيهما أشعر عندي؟ لتباين الناس في العلم، واختلاف مذاهبهم في الشعر، ولا أرى لأحد أن يفعل ذلك..."، وفي موضع آخر من كتابه يقول:[٤] "ولست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر، ولكني أوازن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما إذا اتفقتا"، ثم هو يتوجه إلى المتلقي: [٥] "ثم احكم أنت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علمًا بالجيد والرديء"، فهو يصرح بالتفضيل وإن وضعه على لسان المتلقي.

١- ينظر: "حافظ وشوقي"- د/ طه حسين- ص١٣٧- ط مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة٢٠١٤م.

٢- أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت٣٧٠هـ-٩٨٠م): النحوي الكاتب، أصله من آمد، ومولده ووفاته بالبصرة، من كتبه "المؤتلف والمختلف"، و"الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري"، و"نثر المنظوم، وله ديوان شعر. [ينظر: "معجم الأدباء"- ياقوت الحموي- ت: د/إحسان عباس- ٨٤٧/٢- ط دار الغرب الإسلامي (بيروت)- الأولى١٩٩٣م]

٣- "الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري" – ت: السيد أحمد صقر- ص ٥- ط دار المعارف- الرابعة ١٩٩٢م.

٤- المصدر السابق ص ٦.

٥- المصدر نفسه.

ب- بين حافظ إبراهيم والبارودي:

جاءت الموازنة بينهما من جهة مقارنة "أحمد أمين" بين التلميذ والأستاذ، ذلك أن "حافظ إبراهيم" اتخذ "البارودي" أسوته الحسنة ومثله الأعلى يحذو حذوه، ويختط نهجه، ويأمل أن يبلغ في الحياة مبلغه، فقد تخرج البارودي باشا في المدرسة الحربية، وتعلم فنونها، وخاض معامع القتال، فكان ربًّا للسيف، وفي الشعر أعاد إليه قوته ونضارته وبات رائدًا للنهضة الأدبية الحديثة، فكان ربًّا للقلم[١]، وهما اللواءان اللذان أراد "حافظ إبراهيم" أن يتأسى بالبارودي في حملهما، وقد أورد له "أحمد أمين" في ذلك قوله مادحًا "البارودي" ومتمنيًا السير على نهجه:[٢]

أميرَ القوافي إن لي مُستهامةً بمدحٍ ومن لي فيكَ أنْ أبْلُغَ المَدَى

أعِرْنِي لمدحيكَ اليراعَ الذي به تخطُّ وأقرضني القريضَ المُسدَّدَا

ومُرْ كل معنىً فارسيٍّ بطاعتي وكل نَفُورٍ منه أنْ يتوددَا

وهبني من أنوارِ علمكَ لمعةً على ضوئها أَسرِي وأقفُو من اهتدَى

وأربُو على ذاكَ الفَخورِ بقولِه إذا قلتُ شعرًا أصبحَ الدهرُ مُنشدَا

ويرى "أحمد أمين" بحسه النقدي أن حافظًا بهذه الأبيات يرسم لنفسه مَثلا أعلى، ويحدد مستقبله في دولة الشعر، ويبيت مقلدًا البارودي في دولتيه، ففي دولة الشعر يرصد "أحمد أمين" للبارودي عنايته بشعر الفحول، حيث اختار لثلاثين شاعرًا من المولدين قبل أن ينظم شعره، يقول "أحمد أمين" مؤكدًا هذا التقليد: "وكذلك فعل حافظ إبراهيم، فقد تخير وشعر، وحفظ ونظم..."؛ ليسير على نهج أستاذه البارودي في دولة الشعر حتى يقارب

١- ينظر: "مقدمات أحمد أمين" ص٦٠.

٢- "ديوان حافظ إبراهيم" ١/١٠، والأبيات من بحر الطويل.

شأوه، أما في دولة السيف فقد شاء الله –تعالى– أن ينتهي التاريخ العسكري لـ"حافظ" على عجل، ليترك العسكرية في شبابه، "فلم يتحقق له إلا شطر رجاءَيْه، ولم يدرك من البارودي إلا إحدى دولتيه...". [١]

وبذات الأسلوب التعليلي يرد "أحمد أمين" ذلك إلى الاحتلال البغيض الذي لم يكن يرضى لأحد مبلغ العظمة في العسكرية والآداب، "فالاحتلال هو الذي حطم سيف البارودي، بل حطَّم قلمه القوي، وقدَّم له قلمًا آخر يشكو به الدهر، ويبكي زمانه الغابر..." [٢]، ولعله فعل ذلك مع حافظ.

على أن "أحمد أمين" قد رصد –في المقدمة– تعليلًا آخر لعدم اكتمال دولتي السيف والقلم لدى "حافظ إبراهيم"، يقول: "يُخيل لي أن حافظًا لم يُخلَق رجلُ قِتالٍ؛ نعم كان منظره رجل حرب، فهو مستحكم الخلقة، وثيق التركيب، مفتول الساعدين، عريض المنكبين، ولكن لا أظن أن قلبه يشاكل جسمه..."[٣]، ويقفي "أحمد أمين" هذا التفسير يذكر أبياتًا لـ"حافظ" كتبها في السودان يبكي ويتوجع ويتشوق في ظل العسكرية، يقول: [٤]

فمنْ لي أنْ أرى تلكَ المَغانِي وما فيها منَ الحُسنِ القديمِ؟

وها أنا بين أنيابِ المنايا وتحت براثن الخطبِ الجسيمِ

أتيتُكَ والخُطوبُ تُزِفُّ رَحْلِي ولي حالٌ أرقُّ منَ السَّديمِ

فلعل "حافظ إبراهيم" دخل العسكرية ملاءمة لفطرته الوطنية وحسه الثوري، وتأمينًا لمصدر العيش وسبل الحياة.

١– " مقدمات أحمد أمين"ص٦٠.

٢– المرجع السابق .

٣– المرجع نفسه.

٤– "ديوان حافظ إبراهيم" ١٦٤/١، والأبيات من بحر الوافر، وهي في الديوان ليست على التوالي.

جـ –بين حافظ إبراهيم وإسماعيل صبري:

في مقدمته لديوان "حافظ إبراهيم" ذكر "أحمد أمين" الشاعر "إسماعيل صبري باشا" على أنه من كبار الشعراء المعاصرين لصاحب الديوان، ثم وازن بينه وبين "حافظ"، ولكن في لون معين من الفن هو "المقطعات الشعرية" الصغار، وعلى الرغم من أن "أحمد أمين" في غالب نقده ينأى عن الأحكام القطعية الصريحة إلا أنه صرَّح بتقديم "إسماعيل صبري" على "حافظ إبراهيم" في هذا اللون من الشعر، يقول: "إسماعيل صبري باشا كان أشعر من حافظ في ناحية خاصة، وهي مقطوعاته الصغيرة، يعبر بها عن معان دقيقة، وعن شعور نفسي عميق..." [١]، ويعلل "أحمد أمين" ذلك بأن "إسماعيل صبري" "لم يكن يحترف الشعر كشوقي أو يحاول احترافه كحافظ، وكان منصبه الحكومي يسمو به عن ذلك"[٢].

وبعيدًا عن النقد المقارِن ربما لم يكن "أحمد أمين" موفقًا في التعبير بكلمة "يسمو" لما قد توحي به مع معنى النأي والبعد بمعان أخرى تزدري الشعر وتضع قيمته، ولعل التعبير الملائم هو ما يفي بأن المنصب الحكومي لـ"إسماعيل صبري" يتنافى معه احتراف الشعر، أو الانقطاع له.

أما الحكم النقدي بتقديم "إسماعيل صبري" على "حافظ إبراهيم" في المقطعات الشعرية القصار[٣] فقد أكده "أحمد أمين" في مقدمته الناقدة لديوان "إسماعيل صبري باشا"، حين صنَّف شعره صنفين، الأول: رغم تميزه لا يتجلى فيه نبوغه ولا تظهر عبقريته، وهو قصائده الطوال، أما الصنف الثاني: ففيه يقول: "هو موضع نبوغه، ومظهر عظمته، وهو مقطوعاته

١– "مقدمات أحمد أمين" ص٦٢.

٢– المرجع السابق.

٣– ينظر: "خليل مطران .. أروع ما كتب"– د/ محمد صبري– ص١١– ط الهيئة العامة لقصور الثقافة (مصر)– الأولى٢٠٠٤م.

القصيرة، يجري فيها ذوب قلبه، ويمزج فيها دم نفسه بمعناه ولفظه، يُغَنِّي فيها لنفسه، ويقصد بها إلى بث لوعته، وتلطيف صبابته..." [١].

وفي الموضع ذاته يذكر "أحمد أمين" مثالًا لمقطعات "إسماعيل صبري"، قوله في الغزل: [٢]

يا مقرّ الغزالِ قد صحَّ عندي الـ ... يومَ أنِّي اقتحمتُ منك عرينَا

رابني فيكَ ما أرَى من عيونٍ ... بات يُغري بها السوادُ عيونَا

وضلوعٍ جاءتْكَ وهي خوالٍ ... ثم عادتْ ملأى هوىً وشُجونا

ما الذي يبتغي غزالُكَ منِّي ... بعد كوني عبدًا له أنْ أكونا

كلما قلتُ: قد أبلَّ فؤادي ... ساوَرَتْه الذكرى فجُنَّ جُنُونا

ولعل "أحمد أمين" في هذا اللون من الفن يقدم "إسماعيل صبري" ليس فقط على "حافظ إبراهيم"، وإنما أيضًا على معاصريه، يقول: "فلئن كان هو وشعراء عصره يمثلون موسيقى متنوعة الآلات، فبعضهم عود، وبعضهم دفٌّ، وبعضهم قانون، وبعضهم كمان، فلقد كان صبري نايًا ظريفًا يُسمع ويطرب... وهو في الأغاني "طقطوقة" جميلة لا "دورًا" مملًّا، وإن كان هو وأصحابه باقة زهر، فهو البنفسج، رقيقة الحاشية، طيبة الرائحة جميلة في غير عنف، وادعة من غير ضعف..." [٣]، ولاشك أنها أوصاف تميز صاحبها وتزكيه، فضلًا عما يتميز به شعر المقطعات القصار من حسن التوقيع على السمع، وسهولة الورود على الطبع، والقرب إلى الطرب والخفة والتنغيم.

١- ينظر: مقدمة أحمد أمين لـ"ديوان إسماعيل صبري باشا"- ص١٧- صححه وضبطه أ/ أحمد الزين- ط لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م.

٢- "ديوان إسماعيل صبري" ص١٢٣، والأبيات من بحر الخفيف.

٣- مقدمة أحمد أمين لـ"ديوان إسماعيل صبري باشا" ص١٧.

المبحث الثاني
نقدات فنية

نؤمن بأن النقد الأدبي ليس له مبادئ خاصة أو قيود ثابتة يقصدها الناقد ضابطًا لوجهته الناقدة التي تختلف باختلاف ملكاته النقدية، ومدى تأثره بالعمل الأدبي، لكن ذلك ليس معناه أن أمر النقد مطروح دون ضوابط، فثمة دعائم وأسس، وبعض محاور نقدية ينبغي للناقد أن يحتسب لها في عمله النقدي.

وفي عدة مواضع من مقدمته لديوان "حافظ إبراهيم" ناقش "أحمد أمين" عددًا من هذه المعايير النقدية، وصرح بكثير من الأحكام الفنية إن بطريق الإجمال وإن بطريق التفصيل، لاسيما نقده لشعر حافظ من حيث الخيال، والصياغة، والعاطفة، والموسيقى.

أ- نقد الخيال:

لعل من البدهي القول بأهمية الخيال في العمل الأدبي، وكذلك لا تخفى أهمية رحابته وقدرته على الابتكار والإدهاش، كونه أداة فنية رئيسة لاسيما لدى الشعراء، وعلى الرغم من ذلك وفي حكم نقدي صريح قرر "أحمد أمين" ضعف الخيال لدى شاعر النيل، يقول في مقدمة ديوان "حافظ": "الشعر الجيد –في نظري– فيضان من شعور قوي سما به الخيال وحلَّاه اللفظ، ووقع على نغمات الأوزان، فهو لابد أن تتجمع فيه –ككل لون من الأدب– عاطفة وخيال، وصياغة، وجمال.... وقد سلم لشاعرنا من هذه الأمور: قوة العاطفة، وحسن الصياغة، وجمال الموسيقى، وأعوزه منها أمر وهو قوة الخيال..." [١].

١- "مقدمات أحمد أمين" ص٧٢.

وقد بدا واضحًا أن "أحمد أمين" يعمد إلى هذا الرأي حيث وطَّأ له ببيان أهمية الخيال في قيمة الشعر الجيد، وكذلك بقوله في المقدمة: "حاجة الشاعر إلى الخيال الخصب أقوى من حاجة الناثر، فلابد له من اختراع صور، وتأليف مناظر، وعقد مقارنات، حتى يثير المشاعر، ويحرك العواطف، ويفعل في النفوس السحر..." [١].

وقد جاء "أحمد أمين" قاسيًا في تأكيد هذا الحكم على حافظ، يقول: "أما خياله: فكان –مع الأسف– قريبًا، قلَّل حظه من الابتكار وقلل حظه من التصوير، فقصر عن أن يغوص في باطن الشيء فيصل إلى مكان الحياة منه، ثم يخرجه إلى الناس كما يشعر به، وقصر عن أن يحلق في السماء فيصور منظرًا عامًا يجذب النفوس إليه..." [٢]، ثم هو يأتي أكثر قسوة وعنفًا وتأكيدا لهذا الحكم حين يذكر أبياتًا لحافظ يمدح فيها البارودي، يقول في مطلعها: [٣]

تعمدْتُ قتلي في الهوى وتعمَّدا فما أثِمَتْ عيني ولا لحظُه اعتدَى

كلانا له عذرٌ فعذري شَبِيبتي وعذرُكَ أني هجْتُ سيفًا مجرَّدا

هَوِينَا فما هُنَّا كما هانَ غيرُنا ولكننا زدْنا مع الحُبِّ سُؤْددا

يقول أحمد أمين معلقًا على الأبيات، ومؤكدًا حكمه بضعف خيال صاحبها: "لقد حاول حافظ أن يخلق بخياله قصة، ولكنها خرجت قصة عرجاء تتخلج على الأرض، ولا تسبح في السماء، قريبة المنال، مضحكة التصوير..." [٤]، إذ يصف ذهابه إلى محبوبته خفية، فيقلد عمر بن أبي

١– "مقدمات أحمد أمين" ص٧٢.
٢– المرجع السابق ص٧٥.
٣– "ديوان حافظ إبراهيم" ١٠/١، والأبيات من بحر الطويل.
٤– "مقدمات أحمد أمين" ص٧٥.

ربيعة في رائيته المشهورة[١]، ثم لا يحسن التقليد، ولا يأتي خياله بجديد..."[٢]

ولم يمهل "أحمد أمين" قارئ مقدمة الديوان أن يرى رأيًا مغايرا في الأبيات حتى أردفها بمثال آخر تدليلًا على رأيه بضعف الخيال في شعر حافظ، يقول متوجهًا للقارئ: "اقرأ قصته الشعرية التي وضعها في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت، ومطلعها: [٣]

لـــيلايَ مـــا أنـــا حـــيٌّ يُرجـــى ولا أنـــا ميْـــتُ

ترى خيالًا ساذجًا وتصويرًا مهلهلا..." [٤]

والحق لا أرى هذا الرأي يسلم لأحمد أمين على إطلاقه، لاسيما وهو في موقف التقديم والتصدير لديوان "حافظ"، وليس في موقف الناقد لصورة خاصة أو قصيدة معينة، كما أنَّ لشاعر النيل من صور الخيال ما يتنافى مع تلك القسوة التي بلغت مبلغها في توجيه الحكم النقدي بضعف خياله، وليست بعيدة عن الذهن تلك الصور إذ إن بعضها سار وأضاء، وتخطى الحركة النقدية حتى لتعرفه العامة من متذوقي الأدب والفن، ومن ذلك تلك الصورة الخيالية لتجسيد "حافظ إبراهيم" للفصحى امرأة تتحدث عن مكانتها وتتعاطى مع قضيتها، تدافع عن نفسها، تبث همومها، توصي أبناءها،

١- لعله يعني الرائية التي مطلعها:

أمِـــنْ آلِ نُعْـمٍ أنـــتَ غـــادٍ فمبكـــرُ غـــداةَ غـــدٍ أمْ رائـــحٌ فمهجِّـــرُ

["ديوان عمر بن أبي ربيعة"- ص١٠- ط دار القلم – بيروت دون تاريخ، والبيت من بحر الطويل]

٢- "مقدمات أحمد أمين" ص٧٥.

٣- "ديوان حافظ إبراهيم" ٢/٦٩، والبيت من بحر المجتث.

٤- "مقدمات أحمد أمين" ص٧٥.

وتبوح بما يكتنف نفسها، وذلك في قصيدته السائرة "اللغة العربية تنعي حظها بين أهلها"، والتي مطلعها: [1]

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ونارديت قومي فاحتسبت حياتي

وكذلك مما يقفز إلى الذهن في ذلك صورته بتجسيد الوطن يفتخر بتاريخه ومجده، في قصيدته السائرة "مصر تتحدث عن نفسها"، والتي مطلعها: [2]

وقف الخلق ينظرون جميعًا كيف أبني قواعد المجد وحدي

على ما في الصورتين من خيال رَحْبٍ يبث النبض الإنساني في المدركات ويستنطق ما ليس من حقه النطق، فيجلي أبعاد المعنى، ويجعل من التصوير أداة تسهم في بلوغ الدلالة، وتحكم للشاعر برحابة الخيال.

ب- نقد العاطفة:

ضمت مقدمة ديوان "حافظ إبراهيم" عدة أحكام نقدية وجهها "أحمد أمين" لعاطفة "حافظ" الشعرية، جاء أهمها في قوله: "أما عاطفته فقوية فيَّاضة، وأكبر مظهر لقوتها إثارة نفس السامع والقارئ، فما يسمع شعره سامع ولا يقرؤه قارئ إلا توثبت نفسه، وهاجت مشاعره، وعاطفته صحيحة لا مريضة، تدعو لأن تكون حياتنا أسعد وأقوى، فحافظ يريد لنا أن نتبوأ مقعدنا بين الأمم، وأن يرفع عنا آلام الاحتلال، وأن يعادل الشرق الغرب، وأن تكون حياتنا الاجتماعية خيرًا مما هي، فلا تواكل ولا استنامة أو خنوع..." [3]

١- "ديوان حافظ إبراهيم"- ٢٥٣/١، والبيت من بحر الطويل.
٢- المصدر السابق ٨٩/٢، والبيت من بحر الخفيف.
٣- "مقدمات أحمد أمين" ص٧٣.

يرى "أحمد أمين" قلب حافظ يمتلئ بكل هذه الأوصاف ثم يصوغها شعرًا يسير في الناس سير العافية، ويرى "أجمل ما في هذه العاطفة في شعر حافظ أنها ليست من ذلك النوع المألوف في الأدب العربي الذي يفرط في المديح... أو يذوب رقة في غزل، أو هيامًا في حب، فمزية عاطفة حافظ: عمومها وقوتها، وإن شئتَ فقل: وجِدَّتها، فلم نعرف شاعرًا قبله ولا معاصرًا له أفاض في العاطفة الوطنية والاجتماعية إفاضته..." [١]

وقبل أن تشعر بأن حافظًا قد ظفر في منحى فني بشهادة من ناقده ومقدم ديوانه يعود "أحمد أمين" بما يؤاخذه عليه في عاطفته، يقول: "قد يؤخذ عليه أن عاطفته ينقصها التنوع، فلا تجد كثيرًا في شعره في جمال الطبيعة، ولا تجد شعره فيها حيًا قويًا، كما ترى قصيدته في الشمس..."[٢]، فهو يؤكد هذه المؤاخذة بمثال من شعر "حافظ"، وقد عنى قصيدته: "الشمس"، وهي التي مطلعها: [٣]

لاح منهـــا حاجـــبٌ للنـــاظرين فنســـوا بالليـــل وضَّـــاح الجبـــين

ومحـــــت آيتهـــــا آيتـــــه وتبـــــدَّت فتنـــــة للعـــــالمين

نظـــر إبـــراهيم فيهـــا نظـــرة فـــأرى الشـــك ومـــا ضـــل اليقـــين

قـــال ذا ربـــي فلمـــا أفلـــت قـــال إنـــي لا أحـــب الآفلـــين

والقصيدة وإن لم تلتهب عاطفتها فربما يكفي شاعر النيل منها لغتها الشعرية الطيعة، وبيان ثقافته الإسلامية، وقدرته على التصوير، لاسيما

١- المرجع السابق.

٢- المرجع نفسه.

٣- "ديوان حافظ إبراهيم"١/٢٠٧، والأبيات من بحر الرمل.

وهي من شعر البدايات وأوائل ما نشر له في سن الشباب[١] وإن رأى أحمد أمين غير ذلك.

جـ- نقد الصياغة والأسلوب:

ربما يكون أسلوب الصياغة هو الأقرب دلالة على إبداع الأديب لاسيما حين يكون ترجمة صادقة عن مشاعره، وبين أداء اللفظ والمعنى جاء حديث أحمد أمين" عن أسلوب "حافظ إبراهيم" في شعره، ومن ذلك ما جاء في المقدمة يصف ألفاظه بقوله: "يفتش حتى يختار خيرها، وينثر كنانته ليتخيَّر أشدها عودًا، وأصيلها مكسرًا، ويعمد إلى الأساليب يتصفحها ليوائم بين المعنى واللفظ والأسلوب"[٢].

ثم يبدو "أحمد أمين" في هذا الحكم النقدي وقد ركن إلى معاصرته لـ"حافظ" ومعرفته به، يقول: "وكان حافظ يسمي هذه "العملية" كلها "التذوق"، ويمدح بعض الشعراء بأنه "ذواق" يريد أن له حسًا مرهفًا في اختيار اللفظ والأسلوب، وقد بالغ في ذلك حتى كان جهده في اختيار الألفاظ والأساليب يفوق جهده في ابتكار المعاني، فهو يذهب مذهب من يرى أن المعاني مطروحة في الطريق..." [٣]، في إشارة من "أحمد أمين" إلى قضية "اللفظ والمعنى"، وتشبيه "حافظ إبراهيم " بـ"الجاحظ"[٤]، الذي جعله أكثر النقاد على

١- ينظر مقال بعنوان: "الشمس" لحافظ إبراهيم- فاروق شوشة- مجلة العربي- شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، موقع: www.3rbi.info.com بتاريخ١٦/ ١/٢٠٢١- س١:٤٣م.

٢- "مقدمات أحمد أمين" ص٧٤.

٣- المرجع السابق ص٧٥.

٤- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، لغوي ومؤرخ وأديب، حاد الذكاء، واسع العلم، أخذ عن الأصمعي وأبي عبيدة، ثم جاءت له طريقة بالإنشاء عرفت باسمه، وجعلته إمام الأدب واللغة في العصر العباسي، له العديد من المؤلفات أهمها "البيان والتبيين"، و"الحيوان"، و"البخلاء" وتوفي يرحمه الله عام ٢٥٥هـ. [ينظر: "الأعلام" ٧٤/٥]

رأس فريق يقول بتقديم اللفظ على المعنى، مستندين إلى مقولته تلك: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقرويُّ والبدويُّ، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من الصيغ، وجنس من التصوير..." [١]، وثمة فريق آخر يقول بتقديم المعنى على اللفظ جعل النقاد على رأسه الإمام "عبد القاهر الجرجاني"[٢]، وغير خفي أن الإمامين حين قدم كل منهما جانبًا من المعنى واللفظ لم يهمل الجانب الآخر.

وليس كذلك يرى "أحمد أمين" صنيع "حافظ إبراهيم" في شعره، حيث يقدم لفظه على معناه، يقول عن شعر "حافظ": "بدأ ينظمه في أغراض اعتاد الناس أن ينظموا فيها، من مدح للخديوي والأغنياء، ومداعبة الإخوان، والشكوى إليهم، ونحو ذلك، وقل أن تجد في هذا النوع من الشعر معنى جديدًا..."[٣].

وإذا كان الحكم النقدي لـ"أحمد أمين" يبدي "حافظًا" مبالغًا في اختيار اللفظ إلى حد إهمال المعنى، فهو من جهة أخرى وبطريق العموم يبدي

١- خاطب الجاحظ بمقولته "أبوعمرو الشيباني" وقد استحسن بيتين للوراق هما:

لا تحسبن الموت موت البلى فإنما الموتُ سؤالُ الرجال

كلاهما موتٌ ولكن ذا أشدُّ من ذاك على كل حال

["الحيوان"- ت: عبد السلام هارون- ٣/١٣١- ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي- الثانية ١٣٨٥=١٩٦٥م، والبيتان من بحر السريع]

٢- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، ولد بجرجان عام ٤٧٠هـ، فارسي الأصل، شافعي المذهب، إمام البلاغة وواضع علمها، وصاحب نظرية النظم، وأشهر كتبه "دلائل الإعجاز"، وأسرار البلاغة"، و"إعجاز القرآن الصغير"، و"إعجاز القران الكبير"، وتوفي يرحمه الله عام ٤٧١هـ. [ينظر: "الأعلام" ٤/٤٨]

٣- "مقدمات أحمد أمين" ص٦١.

كذلك الوجه النقدي لـ"أحمد أمين"، متوجها نحو ترسيخ الفصل بين اللفظ والمعنى، وتوسيع الهوة بين الصنعة والطبع.

وثمة حكم نقدي آخر لـ"أحمد أمين" في شعر "حافظ إبراهيم" –ضمنه المقدمة– يصف فيه أسلوبه في باكورة كتابته وقت كان "حافظ" صبيًا، وضاقت به سبل العيش وعضه الفقر، وترك بيت خاله، وقد نظم يخاطبه:[1]

ثَقُلَتْ عليكَ مؤونتي إني أراها واهيَهْ

فافرحْ فإني ذاهبٌ مُتَوَجِّهٌ في داهِيَهْ

يرى "أحمد أمين" أن البيتين "شعر ساذج في سن الصبا" على الرغم من امتداحه في البيتين قوة العاطفة والتعبير عن حالة الحزن والضيق".

د– نقد موسيقاه:

اتفقت الحركة النقدية منذ قديم على أهمية الموسيقى في التعبير عن الدلالات اللفظية والمعنوية وتحقيق تقنيات الشكل ومظهر الجمال، فلا قوام للشعر دون موسيقى تضمن له تجاوب النغم وتلاؤم الإيقاع، وقد جاءت الموسيقى من معايير النقد الفني التي سلِمتْ لـ"حافظ إبراهيم" بحسب "أحمد أمين" في مقدمة الديوان، ذلك أنه حين حكم له بحسن الصياغة واختيار اللفظ رأى أن حافظًا يستعين عليها بكل ألوان الموسيقى، فقد كان "يصنع البيت ويردده على أذنه بإنشاده حتى يتبين موقعه من أذنه قبل أن يوقعه على آذان الناس.... ويراعي موسيقى الطول والقصر، والفخامة والرقة، واللين والشدة، ويوائم بين ذلك وموضوعه، فيوفق توفيقًا كبيرًا..." [2].

١– المرجع السابق ص٨، والبيتان من بحر الكامل.

٢– "مقدمات أحمد أمين" ص٧٥.

وعلى ذلك يمكن القول إن "أحمد أمين" لم يغادر جمالًا موسيقيًا إلا ونسبه لموسيقى "حافظ إبراهيم"، التي جمعت بين موسيقى الأصوات والحروف، والألفاظ والأساليب، والأوزان والقوافي، وكذلك حسن مناسبتها للغرض والمقام، كما أنه –بحسب "أحمد أمين"– لم تغادر مناسبتها لحال المتلقي حين يرتدي "حافظ" زيه، فيعرض موسيقى شعره على أذنه قبل أن يعرضه على الناس.

المبحث الثالث

نقدات موضوعية

جاء ما تضمه "مقدمة الديوان" من نقدات موضوعية لـ"أحمد أمين" في شعر "حافظ إبراهيم" بين أطر ثلاثة هي: تداعي "حافظ إبراهيم" لما وُجِّه إليه وإلى "شوقي" ومدرستهما الشعرية من نقد مدرسة الديوان، وتنوع موضوعاته، وتفاعله مع أحداث الوطن والأمة، وفي هذه الأطر الثلاثة بدت ملامح الفكر النقدي لـ"أحمد أمين" جلية واضحة.

أ- تداعي "حافظ" مع نقد مدرسة الديوان:

جاءت حركة الديوان من أشهر الحركات الأدبية والنقدية في العصر الحديث متأثرة بالثقافات الغربية؛ لتعيب على الشعراء ظواهر التقليد والسير على النهج القديم ليس فقط في جهة الفن والأسلوب، وإنما أيضًا في الموضوعات، ومن ذلك ما وُجه من نقد غير منصف إلى "شوقي وحافظ"، فقد ذكر "أحمد أمين" -في المقدمة- أن هذا النقد ترك أثرًا دافعًا في "حافظ إبراهيم"، حيث "قرر الثورة على الشعر القديم، ونظم قصيدته المشهورة، التي مطلعها: [1]

ضعتَ بين النُّهى وبين الخيال يا حكيم النفوس يا بن المعالي

عاب فيها على الشعراء قولهم في الكاس والطاس، والمدح والهجاء والرثاء، وحب سلمى وليلى، والآثار والأطلال والرحال، ثم يقول: [2]

آن يا شعرُ أن نفُكَّ قيودًا قيَّدَتْنا بها دعاةُ المحالِ

فارفعوا هذه الكمائمَ عنَّا ودعونا نشمُّ ريحَ المعالي

١- "ديوان حافظ إبراهيم"-٢٣٧/١، والأبيات من بحر الخفيف.

٢- المصدر السابق.

فكانت ثورة صارخة على الشعر القديم..." [١]، وعلى الرغم أن "حافظ إبراهيم" –بحسب "أحمد أمين" في المقدمة– لم يجدد في أسلوب الشعر وبيانه، ولا تفكيره وخياله، وكذا لم يجدد في بحوره وأوزانه، إلا أنه جدد في منحى عدَّه "أحمد أمين" فوق ذلك كله، هو التجديد في موضوعات الشعر وأغراضه، حيث هدم أغراض شعر الفحول، وبنى على أنقاضه شعره الجديد في الوطنيات والسياسات والاجتماعيات، ونظم في موضوعات عصره، وأمانيِّ قومه، فتبلورت في شعره آمال الأمة التي كانت تشكو فوضى الأخلاق ومرارة الاحتلال. [٢]

ب– تنوع موضوعاته التقليدية:

ضمن رؤاه النقدية في "المقدمة" أفاض "أحمد أمين" في الحديث عن تنوع الموضوعات في شعر "حافظ إبراهيم"، وأولها: الشعر الوطني حيث "كان زعماء الوطنية والخطباء يلهبون حماسة حافظ، وكان هو بما له من حس مرهف وعاطفة وطنية متقدة يُجمع كل ذلك في نفسه، ويغشى مجالس الخطباء الوطنيين، وقادة الرأي والسياسيين، ويتشرب من أرواحهم، ويغذي عاطفته من عواطفهم، ثم يخرج ذلك كله شعرًا قويًا ملتهبًا، يفعل في النفوس ما لا تفعله الخطب والمقالات..." [٣].

ولاشك أن استحق "حافظ" بهذا أن يكون شاعر الوطنية وشاعر الشعب، وقد أورد "أحمد أمين" في المقدمة –تدليلًا على رأيه النقدي

١– "مقدمات أحمد أمين" ص٦٣.
٢– المصدر السابق.
٣– "مقدمات أحمد أمين"ص٧٥.

واستشهادًا- نماذج من شعر "حافظ"، منها ما جاء تقريعًا للأمة على استكانتها واستسلامها للاحتلال، قوله: [١]

أمـــةٌ قـــد فـــتَّ فـــي ســـاعدِها بُغْضُـــها الأهـــلَ وحُـــبُّ الغُرَبـــا

تعشـقُ الألقـابَ فـي غيـرِ العُـلا وتُفَـــدِّي بـــالنفوسِ الرُّتَبـــا

وهـــي والأحـــداثُ تســـتهدفُها تعشـــق اللهـــوَ وتهـــوَى الطَّرَبـــا

لا تبـــالِي لَعِـــبَ القـــومُ بهـــا أم بهـــا صَـــرفُ الليـــالي لَعِبَـــا

فالأبيات تأتي من جهة التعبير عن الألم، ولعله جلد الظهر أو رقص الذبيح؛ لما تعانيه نفس "حافظ" من حالة التردي السياسي والاجتماعي التي انزلق إليها الوطن أثر الاحتلال.

وفي الغرض ذاته -تقريع الأمة وتوبيخها استنفارًا واستثارة- استشهد كذلك "أحمد أمين" في مقدمة الديوان بقول "حافظ":[٢]

فمـا أنـتِ يـا مصـرُ دارَ الأديـب ولا أنـــــتِ بالبلـــــدِ الطيـــــبِ

وكـم ذا بمصـرَ مـن المضـحكاتِ كمـــا قـــال فيهـــا أبـــو الطيِّـــبِ

أمـــورٌ تمُـــرُّ وعـــيشٌ يُمِـــرُّ ونحـــن مـــن اللهـــوِ فـــي ملعـــبِ

وشـــعبٌ يفـــرُّ مـــن الصـــالحات فـــرار الَّســـليمِ مـــن الأجـــربِ

في وصف واضح لهذا الزمن الذي استطاع فيه الاحتلال أن ينال من الوطن وأبنائه الذين أخذ الشاعر على عاتقه أن يستثيرهم ويَغُزَّ وجداناتهم بأسهم الكلمات وحراب القصيد علَّها توقظهم وتبعث فيهم صحوة الاستفاقة والصمود أمام ما يُحاك للأمة من مكائد، ويراد بها من خطوب وملمات.

١- "ديوان حافظ إبراهيم" ٢/٧ ، والأبيات من بحر الرمل.

٢- المصدر السابق١/٢٥٦ ، والأبيات من بحر المتقارب.

ومن جهة الفن استطاع "حافظ إبراهيم" بطريق التفاعل النصي واستلهام التراث الشعري أن يوظف في أبياته نص المتنبي الذائع في مصر: [١]

وكم ذا بمصرَ من المضحكاتِ ولكنه ضحكٌ كالبكاء

لكن "حافظًا" وناقده وإن رأيا في النص ما يؤكد فكرته وغرضه الوطني إلا أنهما أغفلا هذا الظلم التاريخي لمصر من قِبَلِ أبي الطيب الذي لم يفرق بين الوطن والحاكم حين أملت عليه عاطفته –وقد تنازعتها آلام المرض والغربة وآلام الامتناع عن تحقيق التطلعات والأطماع– أن يذكر مصر بهذه الصفات، ذلك أنه حين ارتحل إلى مصر على أثر خلافه مع "سيف الدولة الحمداني" لم تأت رياحه بما تشتهي سفنه وحال بينه "كافور" الإخشيدي وبين ما كان يطمح إليه من منصب ومجد، فراح الشاعر ينقم على "كافور" ومصر إلى حد هذا الوصف الظالم. [٢]

والحق لم يكن "حافظ إبراهيم" أقل من المتنبي ألمًا ووصفًا لمصر وأبنائها إلا أن المفارقة ماثلة في الباعث والغرض، حيث ما عُرف به "حافظ إبراهيم" من حس وطني يعني بهموم الوطن ويتفاعل مع قضاياه، وما يلائم ذلك من بلوغ الوصف إلى حد الهجاء ألمًا وحزنًا، من وجه، وطلبًا لاستفاقة أبناء الأمة واستنهاضها من وجه آخر، وهي تلك الملاءمة التي حَدَت بـ"أحمد أمين" أن يستشهد كذلك في "المقدمة" بقول "حافظ":[٣]

١– "ديوان المتنبي"– ص٥١١– ط دار بيروت للطباعة والنشر –١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، والبيت من بحر المتقارب، ونصه في الديوان:

وماذا بمصرَ من المضحكاتِ ولكنه ضحكٌ كالبُكَا

٢– ينظر: "مع المتنبي"– طه حسين – ص٢١٦– ط دار المعارف– الثالثة عشرة دون تاريخ

٣– "ديوان حافظ إبراهيم" ٢٥/٢، والبيت من بحر الكامل.

وإذا سُئِلتَ عـن الكنانـةِ قـلْ لهـم هــي أمــةٌ تلهــو وشــعبٌ يلعــبُ

ثم يقول: "ونحو ذلك كثير في ديوانه..." [١].

ولكن لاشك أن الأكثر في ديوانه هي وطنياته المليئة بالأمل، وقد ذكر منها أحمد أمين في المقدمة ما جاء شعرًا في خطاب "حافظ" لـ"سعد زغلول"، قوله:[٢]

فـاوِضْ فخلفَـك أمـةٌ قـد أقسـمَتْ ألَّا تنـــام وفـــي الـــبلادِ دخيـــلُ

عُـزْلٌ ولكـن فـي الجهـادِ ضـراغمٌ لا الجــيشُ يفزعُهــا ولا الأســطولُ

وقوله: [٣]

النسـرُ يطمــعُ أن يصـيدَ بأرضِـنا ســنرِيه كيــفَ يصــيدُه زغلــولُ

وقوله: [٤]

أفقنـــا بعــد نـــومٍ فـــوقَ نـــومٍ علـــى نـــومٍ كأصـــحاب الـــرَّقيمِ

وليس أكثر من ذلك دلالة على الحس الوطني، وعمق الانتماء، الموجهين نحو معاني الأمل والنماء والدعوة للعمل والعطاء، وهي المعاني التي رصدها "أحمد أمين" في تلك الصور الوطنية لـ"حافظ إبراهيم"، وعدَّ كتابته "مقدمة الديوان"، وعمله على طبعه ردًّا للجميل واحتسابًا لهذه الوطنية الشعرية وتأثيرها الفعال لاسيما زمن الاحتلال.

يقول "أحمد أمين": "اغتبطت للإسهام في هذا العمل؛ لأن "حافظًا" شاعر كبير، ومن حقه الأدبي أن نخلد شعره، ونحفظ ذكره؛ فهو شاعر

١- "مقدمات أحمد أمين" ص٦٤.

٢- "ديوان حافظ إبراهيم" ١١٠/١، والبيتان من بحر الكامل.

٣- المصدر السابق.

٤- "ديوان حافظ إبراهيم" ١٠٨/١، والبيت من بحر الوافر

الوطنيـة فـي عصـرنا، غـذى شـعره علـى الشـعور الـوطني، وألهبـه غيـرة وحماسة، وكان داعيًا للنهضة والمطالبة بالحركة حتى تنال الاستقلال، فكان واجبًا –وقد بدأنا نجني ثمار جهادنا– أن نؤرخ لقادة حركتنا..." [١].

ومما يجدر ذكره في وطنية "حافظ إبراهيم" ما رصده "أحمد أمين" في مقدمة الديوان: أن "حافظًا "لم يشأ أن يكون شعره في وطنياته طبلًا أجوفًا، يقول القول عامًّا لا يستند إلى مادة من حقائق، وإنما اتخذ ما يحدث من أحداث اجتماعية في عصره أساسًا لدعوته، وسنادًا لهجمته..." [٢]، فإذا كان الشـعب عامـة والمثقفـون خاصـة يرصـدون تلـك الأحـداث متابعـة لأحـوال وطـنهم، وإذا كـان الصـحفيون يرصـدون تلـك الأحـداث لتسـطيرها مقـالات إخباريـة وسياسـية واجتماعيـة، فالأدبـاء وفـي القلـب مـنهم "حـافظ إبـراهيم" يتلقفـون الأحـداث فيسـطروها أدبًـا قويًـا يغـذي نفـوس شـباب الأمـة ويلهـب مشاعر المتلقين، ولاشك في دلالة ذلك على وطنية "حافظ" وقوميته، وكذلك لا تخفى دلالته من جهة الفن على تنوع موضوعاته بحسب تنوع الأحداث التي يمر بها الوطن، بين أحداث اجتماعية، وسياسية، وثقافية.

فمن الأحداث الاجتماعية ما ذكر "أحمد أمين" من تداعي "حافظ إبراهيم" الشعري لحدث اجتماعي هو ما عرف "بحادثة المؤيد"، حيث الزواج ذائع الصيت لصاحب الجريدة الوجيه الشيخ "علي يوسف" من ابنة الحسيب الشيخ "عبدالخالق السادات" في الرابع عشر من يوليو عام١٩١٤م، وذلك بوكالة أحد الشيوخ بالأزهر، وحضور عدد من العلماء والوجهاء، ولكن دون علم أبيها الذي استشاط غضبًا، ووصف العقد بالبطلان، وتقدم إلى الجهات الرسمية يطلب التفريق بينهما وعودة ابنته[٣]، وهو الحدث الذي انقسم حوله

١– "مقدمات أحمد أمين" ص٧٦.

٢– المرجع السابق ص٦٦.

٣– ينظر: "مقدمات أحمد أمين" ص ٦٧، وتنظر الحادثة في " علي وصفية قصة حب وحرب"– للصحفي محمد توفيق– ط دار بتانة للنشر ٢٠٢٠م .

المثقفون آنذاك قسمين، أحدهما يرى الحفاظ على الأعراف والتقاليد، ويرى ما حدث سابقة مجتمعية خطيرة، والثاني ينادي بحرية المرأة في الزواج، ويرى ما حدث أمرًا يسيرًا لا يستحق ثورة أحد ضده، ويبدو أن حافظًا كان من أصحاب الرأي الثاني حيث "اتخذ من الحادثة وسيلة لتقريع المصريين لاهتمامهم –في رأيه– بصغائر الأمور وتركهم جسامها، وتحزبهم فئات: منهم مَن يلوذ بالأمير ومنهم من يلوذ بالعميد، ومَن يصيح مع الصائحين، ثم يتهم حافظ الفريق الأول بالمجاملة وترك الصراحة، وإلا فمالهم يقرعون صاحب المؤيد على فعلته..."[1].

وكذلك من التداعي للأحداث الاجتماعية وتنوع الموضوعات ما ذكر "أحمد أمين" –في المقدمة– من التفاعل الشعري لـ"حافظ إبراهيم" مع قضايا رعاية الأطفال، والجمعيات الخيرية الإسلامية، ومساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة، وغيرها من الشعر التفاعلي مع أحداث الوطن والأمة.

ومن تداعي "حافظ" للأحداث السياسية ذكر "أحمد أمين": تفاعله شعرًا مع "حادثة دنشواي"، حين كتب عددًا من القصائد يهاجم الإنجليز على ما كان منهم، ويهاجم مَن عاونهم من المصريين ثم يهاجم المصريين جميعًا لاستكانتهم، وجاء في ذلك شعره يلهب المشاعر، ويشعل الحماسة، ويستثير الدمع، ولاشك أن يلحق بذلك ما وصف به "أحمد أمين" "حافظًا" من اتساع الأفق لِمَا ضمَّن شعره التفاعلي من دعاوى الوحدة العربية والإسلامية، "فكم قال في علاقة الشاميين والمصريين، وفي الدعوة إلى الإخاء والتصدي لمن يبذر بذور البغضاء، وكم قال في توطيد العلاقة بالآستانة، وتمنى نهضة الخلافة، ورفع لوائها، وعودة مكانتها، وكم كتب في وحدة الشرق ودعا لتعاونه، وتبادل النفع بين أقطاره، فكان شعرًا مقربًا للقلوب داعيًا لائتلاف

١– "مقدمات أحمد أمين" ص٦٦.

الشعوب، ينتهز لذلك كل فرصة كافتتاح السكة الحديدية الحجازية، وأعياد دستور الأمة التركية..." [١]

وبحسب "أحمد أمين" في المقدمة قد يتعدى اتساع الأفق الشعري لـ"حافظ إبراهيم" الأمتين العربية والإسلامية ليشمل الإنسانية كلها، مستدلًا في ذلك بشعره في "زلزال مِسِّينا"، ومنه قوله: [٢]

فســـلامٌ عليـــكِ يـــومَ تولَّيـــْ تِ بمـا فيـكِ مـن مغـانٍ حسـانِ

وسـلامٌ علـى امـرئٍ جـادَ بالدمـ ـعِ وثنَّـــى بالأصـــفر الرنَّـــانِ

ذاك حـق الإنسـانِ عنـد بنـي الإن سـان لـمْ أدْعُكُـم إلـى إحسـانِ

أمَّا تداعي "حافظ إبراهيم" للأحداث الثقافية، فقد ذكر "أحمد أمين" في "المقدمة" ما يشهد لذلك وهو تفاعله الشعري مع قضية اللغة العربية الفصحى حين أراد المحتل مع بعض مدعي الثقافة من المصريين النَّيْل منها بالدعوة للعامية والعجمة متذرعين بضعف الفصحى في التعبير عن العلوم الحديثة والمخترعات، فقد راح "حافظ إبراهيم" يتصدى لتلك الدعوات الآثمة، ويدعو إلى إنهاض الفصحى ويبين محاسنها ومزاياها وأوجه تفردها، ووفاءها بكل تطور، وحفظ القرآن الكريم لها، ويحذر من الرطانة بالعجمة أو ترك الفصحى نطقًا أو كتابة، وقد سجل "أحمد أمين" ذلك –في مقدمة ديوان "حافظ"– مستدلًا به على وطنيته، وتنوع موضوعات شعره، وتفاعله مع أحداثه.

وكذلك من تداعيه للأحداث الثقافية ما رصده "أحمد أمين" من تداعي شعر "حافظ إبراهيم" لما دار من جدل بين دعاة تأسيس الجامعة من ناحية، وأنصار الكتاتيب من ناحية أخرى، لينضم إلى دعاة تأسيس الجامعة

١– "مقدمات أحمد أمين" ص٦٧.

٢– ديوان حافظ إبراهيم" ١/٢٢٠، والأبيات من بحر الخفيف.

المصرية، ويكتتب في دعم دعوتهم بشعره داعيًا قومه ليكتتبوا في ذلك بالمال تبرعًا ودعمًا وقيامًا بدورهم الوطني. (١)

وبعيدًا عن جهة الفن لاشك أن تسجيل هذه الأحداث في شعر "حافظ إبراهيم" يعد تأريخًا معتبرًا ومقدَّرًا بالشعر، فـ"حافظ إبراهيم" حين يسجل هذه الأحداث "إنما يسجلها بدماء قلبه، وخلجات روحه، ويصوغ منها أدبًا راقيًا يستحث النفوس، ويدفع الهمم، سواء أضحك في شعره أم أبكى، وأمَّل أم يئس..." (٢).

كما رصد "أحمد أمين" في مقدمته للديوان إجادة "حافظ إبراهيم" في شعر الرثاء وذيوعه به، على ما في ذلك من دلالة واضحة على تنوع موضوعات شعره، وتفاعله مع الأحداث، وأورد "أحمد أمين" في ذلك قول "حافظ":(٣)

إذا تصـــفحتَ ديـــواني لتقرأنِـــي وجدتَ شعرَ المراثي نصفَ ديواني

وفي منهج تعليلي ناقد يرى "أحمد أمين" أنَّ "حافظ إبراهيم" أكثر من شعر الرثاء واستطاع توظيفه لخدمة أغراض اجتماعية وطنية، "فموت الأستاذ الشيخ محمد عبده نكبة على مصر، وعلى العالم الإسلامي، وموت مصطفى كامل كارثة على الوطنية الحقة، وحافظ يتسلل في حذق ومهارة

١- ينظر: "مقدمات أحمد أمين" ص٦٦، وينظر: "تاريخ جامعة القاهرة"- د/ رؤوف عباس أحمد – ص٣٤- ط دار النشر الالكتروني www.alkottob.com.

٢- "مقدمات أحمد أمين" ص٦٧، ولعل النصفة تقتضي القول أن "أحمد أمين" احتسب هذا التنوع الموضوعي والتفاعل الشعري لـ"حافظ إبراهيم" مع الأحداث الوطنية ولكن قبل أن يتقيد "حافظ" بالعمل الوظيفي الحكومي الذي لم يكن يتفق معه نظم الشعر السياسي والاتصال بالصحافة، على ما سيأتي تفصيلًا له في هذه الدراسة في "النقدات التفسيرية والمنهج التعليلي" لـ"أحمد أمين" في مقدمة ديوان "حافظ".

٣- ديوان حافظ إبراهيم" ١/١٤٠، والبيت من بحر البسيط.

بعد تصوير الفقيد صورة كاملة إلى المسائل العامة والاجتماعية، وبذلك يجلس على عرش هذا اللون من الشعر، ويقول في سهولة وجزالة ما برع فيه وفاق أقرانه..." [١]، وهو –بحسب "أحمد أمين"– قد يوظف شعر الرثاء إلى شكوى الزمان وإعلان التبرم والبؤس، فما إن يموت أحد أصدقائه حتى يجد في رثائه فرصة سانحة لينكأ الجرح ويفجر الألم.

كما قدَّم "أحمد أمين" سببًا ربما أسهم كذلك في كثرة قصائد الرثاء لدى "حافظ إبراهيم" هو "أنه رحمه الله كان شديد الخوف من الموت، دعاه ذلك إلى أن ينعي نفسه، ويتألم كثيرًا لشيخوخته ويتوهم المرض في كل عضو من أعضائه، فإذا مات قرين له أو صديق أو نديم راعه ذلك، وعدَّ موته إنذارًا بموته، وما أشد وقع ذلك على نفسه..." [٢]، وعلى ذلك يكون ما عُرف به "حافظ إبراهيم" من وطنيته، وبغضه لزمانه، وإشفاقه على نفسه أسبابًا اجتمعت لتصيغ رثاءه لغيره، ومن ثم جاء هذا الرثاء مذيبًا لفائف القلب ومقطعًا لأوصال الحشى، ورافعًا "حافظ "–من حيث الفن– على عرش هذا اللون من الشعر.

أما عن غرض الغزل، وقد ذكره "أحمد أمين" في مقدمته الناقدة تدليلًا على تنوع أغراض "حافظ إبراهيم"، إلا أنه جاء من لون خاص، فهو "يتغزل في هذا الطور من حياة الوطن، ولكن ليس في المرأة، وإنما يتغزل بمصر، ويؤرقه حبها، يقول: [٣]

وما أنا والغرامُ وشاب رأسي وغالَ شبابي الخَطْبُ الجُسامُ

١– "مقدمات أحمد أمين" ص٦٨.

٢– المصدر السابق.

٣– "ديوان حافظ إبراهيم ٥٤/٢، والأبيات من بحر الوافر.

لعمــركَ مــا أرِقْــتُ لغيــرِ مصــرٍ ومـــــالي دونهـــــا أمـــــلٌ يُـــــرامُ

ذكـــرتُ جلالَهـــا أيـــامَ كانـــتْ تصـــولُ بهـــا الفراعنـــةُ العظـــامُ

وأيـــــامَ الرجـــــالِ بهـــــا رجـــــالٌ وأيـــــام الزمـــــان لهـــــا غـــــلامُ

فـأقلقَ مضـجعي مـا بـاتَ فيهـا وباتـــت مصـــرُ فيـــه فهـــلْ أُلامُ؟

فهو ليس تغزلًا بقدر ما هو منحى آخر للوطنية، وإطار رفيع لمعانيها، ودليل ناهض على تنوع شعر "حافظ" وتفاعله مع أحداث الوطن.

المبحث الرابع

درس النقد الشارح

للمنهج النقدي الشارح جذوره القديمة في عالم النقد، ويطلق عليه النقاد "المنهج التفسيري"، أو "التعليلي"، وهو منهج يُعنى بمحاولة فهم الأدلة التفسيرية للنص، وأسباب وجوده وفقًا لقناعات القبول أو الرفض.[١]

يقول أبو عبدالرحمن بن عقيل[٢]: "منذ تذوقت الآداب بمعيار القيمة الجمالية أنتجت لي المعاناة التجريبية أن ذلك لن يتحقق إلا بعد معاناة تحصيل خبرة وفهم النص، وذلك هو منهج "النقد التفسيري"[٣].

وقد حضر هذا المنهج الشارح بقوة لدى "أحمد أمين" في مقدمته الناقدة لديوان "حافظ إبراهيم"، ومن أوضح ذلك تفسيره لما قرره في المقدمة من إجادة "حافظ إبراهيم" لشعر الرثاء وحضوره بقوة في ديوانه إلى حد قول "حافظ":[٤]

إذا تصـــفحت ديـــواني لتقرأنـــي وجَدْتَ شعر المراثي نصف ديواني

وبمنهج تعليليّ شارح وصريح يقول "أحمد أمين": "وسبب ذلك: أنه استطاع في كثير من الأحيان أن ينقل الرثاء من مسألة فردية خاصة إلى مسألة اجتماعية"، فهو يرى غرض الرثاء لدى "حافظ إبراهيم" وكأنه يتحول

١- ينظر: "منهج النقد التفسيري عند الإمام الرضا"- د/ سيروان عبد الزهرة الجنابي، شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، موقع: www.iasj.nel.artical.

٢- سلفي ظاهري وأديب وناقد سعودي، وأصولي عالم بالقرآن والسنة، ولد بالشعَراء عام١٩٤٢م.[ينظر: شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، موقع: aljazirah.com بتاريخ ٢٠٢١/٤/١١م]

٣- "مبادئ في نظرية الشعر والجمال"- ص٢٥- ط النادي الأدبي ١٩٩٧م.

٤- ديوان حافظ إبراهيم" ١/١٤٠، والبيت من بحر البسيط.

إلى وسيلة داعمة لهمه الأول وهو عرض قضايا الوطن لاسيما القضايا الاجتماعية.

وكذلك من النقد التعليلي ما ذكره "أحمد أمين" تفسيرًا لرؤيته بعدم تعمق "حافظ" في دراسة المسائل الاجتماعية رغم همه بها واكتنافها شعره وديوانه، إلا أنه كان ينأى بنفسه وشعره عن الجدل والمخاصمة، وقدَّم "أحمد أمين" في ذلك نموذجين من القضايا عرضهما "حافظ" في شعره دون بحث أو تمحيص أو إبداء رأي، الأولى: ما أوردتُهُ سالفًا عن "حادثة المؤيد"، يقول "أحمد أمين": "لقد هرب "حافظ" من إبداء رأيه فيها، ولم يملْ إلى أحد الفريقين، وترك المتنازعين يتنازعون في حرية المرأة وتقييدها وحلَّق في المسائل العامة"، والثانية: قضية "حرية المرأة" على أثر دعوة "قاسم أمين"[1]، فـ"حافظ" وإن قال فيها شعرًا "فقد حكى بعض أصدقائه رواية عنه، أنه لم يقرأ كتاب "تحرير المرأة"، ولم يقطع بإصابة قاسم أو خطئه.

وتأييدًا لهذه الرؤية بعدم تعمق "حافظ" في عرض "اجتماعياته" أورد "أحمد أمين" في المقدمة قول "حافظ":[2]

إن رَيْتَ رأيًا في الحجابِ ولم تُعْصَم فتلكَ مراتبُ الرسلِ

الحُكْمُ للأيام مرجعُه فيما رأيتَ فنمْ ولا تسلِ

فإذا أصبتَ فأنت خيرُ فتىً وضَعَ الدواءَ مواضعَ العِلَلِ

١- قاسم محمد أمين المصري: كردي الأصل، ولد ببلدة طرة بمصر عام١٨٦٣م، وعاش بين الإسكندرية والقاهرة، ودرس الحقوق في فرنسا، وعمل وكيلًا للنائب العام، فمستشارًا، اشتهر بمناصرته للمرأة والدفاع عن حريتها. [ينظر: "الأعلام" ٥/ ١٤٠]

٢- ديوانه ١٥٨/٢، والأبيات من بحر الكامل، وقد سقط منها بيت مكانه بعد البيت الثاني، قوله:

وكذا طُهاةُ الرأي تتركُهُ للدهرِ يُنضِجُهُ على مَهَلِ

أوْ لا فحسبك ما شَرُفتَ به وتركتَ في دنياكَ من عملِ

ففي هذه الأبيات يرى "أحمد أمين" "حافظًا" "مضطربًا لا يستطيع الجزم برأي، أو هو لا يريد..." [١]، ويبدو أن هذا الرأي الناقد لم يكن فقط موجهًا لاجتماعيات حافظ وإنما لكل شعره، يقول "أحمد أمين": "وتراه في بعض المواقف السياسية يكتفي بسرد آراء الفريقين وحججهم، كما في قصيدته في وداع "اللورد كرومر"، فقد حكى فيها آراء المادحين وآراء النقاد"[٢]، ثم أورد "أحمد أمين" في ذلك قول "حافظ":[٣]

فهذا حديثُ الناسِ والناسُ ألسنٌ إذ قال هذا صاح ذاكَ مُفَنّدا

ولو كنتُ من أهلِ السياسية بينهم لسجلتُ لي رأيًا وبُلِّغتُ مقصِدا

ولكنني في معرِضِ القولِ شاعرٌ أضافَ إلى التاريخ قولًا مُخلَّدا

ويرى "أحمد أمين" أن "حافظًا في هذه الأبيات "هرب من إبداء رأي، وترجيح قول على قول"، وعلى ذلك جاءت رؤيته الناقدة بأن "حافظًا" في كثير من شعره ينأى عن الأحكام القطعية والعمق في الدرس والعرض.

لكن "أحمد أمين" بمنهج تعليليّ شارح راح يفسر هذا الصنيع لـ"حافظ" بما يراه من المفارقة بين العالِم والشاعر، فالأول "يلاحظ الأشياء ليستكشف ظواهرها وقوانينها، وعلاقتها بالأشياء الأخرى والظروف المحيطة بها"[٤]، أما الثاني: "فيلاحظ الأشياء من حيث علاقتها بعواطف الإنسان وطبيعته..." [٥].

١- "مقدمات أحمد أمين" ص٦٩.

٢- المرجع السابق.

٣- ديوانه ٢/٣٠، والأبيات من بحر الطويل.

٤- "مقدمات أحمد أمين" ص٦٩.

٥- المرجع السابق.

ويقدم "أحمد أمين" في ذلك مثالًا رؤية كل منهما للنبات حين يدرسه العالِم ليكشف طبائعه الخاصة، وأوجه الشبه بينه وبين النباتات الأخرى، ووظيفة كل جزء، ومراحل النمو حتى الموت والفناء، أما الأديب فلا يهمه كل ذلك حين يراه مظهرًا للجمال، وليست شجرة الورد لدى الأديب إلا زهرته الجميلة وأريجها العطر، وبهذه المفارقة بين رؤية العالم ورؤية الأديب، وبهذا المنهج التفسيري الشارح يرى "أحمد أمين" أن يخفف حدة النقد، وأن يغتفر لـ"حافظ إبراهيم" عدة سمات وصف بها شعره، هي ضعف العمق وقلة الإمعان في الدرس وترك القطع في إصدار الأحكام، ولعل "أحمد أمين" قسا على "حافظ إبراهيم" في هذا الوصف الذي ربما يتنافى مع ما عُرف عن حافظ إبراهيم وذاع به أمره من وطنية وقومية وشعور بآلام المجتمع والأمة، وغيرها من الصفات والمواقف التي عبَّر عنها شعره وتغنت به الأوساط الأدبية، واحتسبته له الحركات النقدية، وذاع إلى حد لا يعوزنا إلى تمثيل.

وكذلك يلحق بهذا المنهج الشارح في النقد كذلك ما أورده "أحمد أمين" من أن "حافظًا ظل يتغنى بشعره التقليدي والجديد نحو خمسة عشر عامًا انتهت –بحسب "أحمد أمين"– في ١٩١١م، حين لحق بوظيفته في دار الكتب، إذ لا يتفق مع مَنْ يشغلها أن يتكلم في السياسة أو يتصل بالصحافة، وكان "حافظ" يعرف هذا جيدًا وقَبِلَ الوظيفة وقَبِلَ معها السكوت، "وقد برَّ بوعده ووفَّى بشرطه، ولم يقل من الشعر إلا قليلًا، وفي مناسبات ملحة، وبتحفظ تام وحذر شديد..." [١].

وفي تعليله هذا الصنيع لحافظ حاول أحمد أمين" أن ينتصف له، يقول: "عيَّره كثيرون بقبوله الوظيفة، ولكن لماذا نعيِّره وحده ولا نعيِّر مَن ألجأه إلى قبولها، لماذا نطلب منه التضحية بقُوتِه، ونؤنبه على سكوته، ولا

١– "مقدمات أحمد أمين" ص٧١.

نؤنب الأمة آنذاك.. تعجب به ثم يتبخر هذا الإعجاب، ولا يتحول إلى قليل من مال يتبلغ به.. الحق أن الأمة في تاريخها الماضي أبدت جمودًا عجيبًا وشُحًّا أليمًا في حافظ وأمثاله، تصفق لهم طويلًا، وتتركهم يتألمون من الحاجة إلى ضرورات الحياة، تنعم في الترف وتدعو المغنى لها ثم تضن عليه بالأجر، فإذا طلبه غضبت..." [١] وعلى ذلك وبمنهج ناقد شارح يبرر "أحمد أمين" ما طرأ على "حافظ" من تغير بعد الوظيفة، ويرى أنه "ليس من العدل أن نسرف في نقد صمته، ونعيبه بكسر عوده وقيثارته، فلم يفعل غير ما فعله من قبله"، وأورد "أحمد أمين" في ذلك قول القائل: [٢]

غزلت لهم غزلًا رقيقًا فلم أجد لغزليَ نسَّاجًا فكسرتُ مِغْزلي

قلت: ربما كان "أحمد أمين" مُوفَّقا في تفسير موقف "حافظ" بعد الانتماء للوظيفة إلا أنه ربما لا يسلم له ما ذكر من تبرير هذا الموقف فلعل الأولى بـ"حافظ إبراهيم" وقد أُلجئ للضرورة –بحسب "أحمد أمين"– أن يسدد في شعره ويقارب، ولا يترك الأمر إلى حد السكوت عن هذا الباب، وربما كان له في أدوات الفن من الإحالة والإشارة والرمز وغيرها ما يعينه على تحقيق تلك المقاربة.

ومن المنهج التعليلي أيضًا ما أورده "أحمد أمين" في "المقدمة" عن تنقل "حافظ" بين الوظائف للعمل وعدم نجاحه فيها، فقد عمل بالمحاماة وتنقل بين مكاتبها لكنه لم يحقق فيها نجاحًا، ويعلل "أحمد أمين" هذا بأن المحاماة تتطلب عكوفًا على درس القضايا وكتابة وقائعها، وليس "حافظ"

١- "مقدمات أحمد أمين" ص٧١.

٢- البيت منسوب لأبي حامد الغزالي من قصيدة مطلعها:

تركتُ هوى سُعدى وليلى بمعزلِ وعدتُ إلى مصحوب أوَّل منزلِ

["ديوان أبي حامد الغزالي"– ص ١٦٠ –ط المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ٢٠١١م، وهما بيتان على بحر الطويل من المقطعات]

بالصبور على ذلك، فهو يجيد الكلام، ويجيد الدفاع بالخطرات تخطر له، لكنه لا يجيد البحث والكتابة، وكما أن "حافظًا "كان فتى غرًا في السادسة عشرة، أو السابعة عشرة لم تحنكه التجارب، أو تعلمه الأيام، إنما كان همه أن يستعرض ديوان شعر يقع منه على ما يرضي ذوقه، فيرتسم على حافظته، أما العناية بكتب الفقه والقانون واستخراج الأحكام منها، فعمل لم يألفه حافظ أو يدرسه، ثم هو ملول، كالتاجر يفتح دكانًا ثم يغلقها ليفتح في مكان آخر، ثم هو متلاف ينفق ما تصل إليه يده".[١]

وبذات المنهج التعليلي الناقد يصف "أحمد أمين" قرار "حافظ إبراهيم" الانتقال من طنطا إلى القاهرة للالتحاق بالمدرسة الحربية، يقول: "يبدو هذا التفكير غريبًا، فأديب ناشئ، ومحام فاشل يقرر أن يكون ضابطًا! لسنا ندري الباعث على هذا التفكير، قد يكون الباعث عليه قراءة سيرة البارودي الحربية، وقد يكون رأى في نفسه بسطة في الجسم، وقد تكون المصادفة البحتة هيأت له ذلك...". [٢]، وقد تكون كل هذه الأسباب مجتمعة ومعها أهمها وهو عدم لحاق "حافظ" بعمل مستقر، وهي أسباب أرى أن أحدها كاف ليرد هذه الغرابة التي رآها "أحمد أمين"، وليدفع "حافظ" ليلحق بالمدرسة الحربية.

وحين يعرض "أحمد أمين" –في المقدمة– لما يتمتع به "حافظ إبراهيم" من ثقافة واسعة، يرد ذلك إلى تلك المصادر والخلفيات التي كونت تلك الثقافة وأسهمت في نمائها، ومن ذلك كثرة غشيانه مجالس العلماء وقادة الرأي في الأمة، فقد اتصل بالإمام الشيخ "محمد عبده"، وعدَّ نفسه فتاهُ، وكان يحضر بعض دروسه التي يلقيها على نخبة من الفضلاء في منزله بعين شمس، ويجلس في مجالسه، وقد يصحبه في أسفاره، ثم يغشى مجالس

١– "مقدمات أحمد أمين " ص٤٨.

٢– المرجع السابق.

الساسة والأدباء أمثال: "سعد زغلول"، و"قاسم أمين"، و"مصطفى كامل"، ونحوهم، وكانت مجالسهم من أرقى المدارس، تطرح فيها مسائل العلم، والمعضلات السياسية، والمشكلات الاجتماعية، وتعرض فيها الحلول، وتبسط فيها أدواء الأمم وكيف عولجت، ثم كان له مجلس من الأدباء في المقاهي والمنتديات، أمثال "خليل مطران"[١]، وإمام العبد"[٢]، وهي مجالس تجتمع فيها الفكاهة الحلوة، والنادرة الطريفة، ويستعرض فيها الأدب وطرائفه، كما ذكر "أحمد أمين" من أهم مصادر ثقافة "حافظ" تجاربه الواسعة في الحياة، "فقد أتاح له بؤسه الامتزاج بغمار الناس ومجالستهم ومشاركتهم آلامهم وآمالهم، ومطارحتهم النوادر والنكات، كما مكَّن له ظرفه وأدبه أن يتصل بسادتهم وقادتهم يسمع لحديثهم، ويسمعون لأدبه، وأن يتصل برجال النهضة الوطنية فيأخذ عنهم، ويلتهب حماسة من حماستهم، ويمتلئ وطنية من وطنيتهم"[٣]، وحق لـ"أحمد أمين هذا التفسير، فحسبنا بمدرسة منهجها الحياة، ومجالس يكون المعلم فيها هؤلاء الأماجد من أهل الثقافة والعلم والسياسة والفن.

وحين يتعجب "أحمد أمين" لندرة شعر الفكاهة في شعر "حافظ إبراهيم" على الرغم من أنه كان مزَّاحًا، صاحب شخصية متفكهة متندرة، نجده بمنهج نقدي شارح يرد ذلك إلى أمرين أولهما: أن الأديب أحيانًا تكون

١- خليل بن عبده مطران: شاعر لبناني، من كبار الكتاب، وله اشتغال بالتاريخ والترجمة، ولد في بعلبك عام ١٨٦١م، وتعلم في بيروت، وانتقل إلى مصر، وتولى تحرير الأهرام، وأنشأ المجلة المصرية ناصر بها مصطفى كامل في الحركة الوطنية، ١٩٤٩م. [ينظر: "الأعلام" ٣/٢٦٠]

٢- محمد إمام العبد: شاعر مصري، سوداني الأصل، أجاد الشعر والزجل، وكان خطيبًا مفوهًا، تجري النكتة في بيانه فلا يمل سماعه، مرض قبل موته بضعة أشهر وتوفي في القاهرة عام ١٩٢٠م. [ينظر: "معجم تراجم الشعراء الكبير" – ص٦٢٣].

٣- "مقدمات أحمد أمين" ص٥٩.

له شخصيتان أو أكثر، فله في حياته العامة شخصية خاصة، فإذا أراد أن يصوغ شعره أو نثره انصب في قالب خاص وتقمص شخصية أخرى، وثانيهما: أن الناس كانوا ينظرون إلى هذه النوادر كأنها من الأدب الشعبي الذي يرتقي إلى الأدب الأرستقراطي، ولذلك قل أن يدخلوا حتى الآن فكاهتهم ونوادرهم في الأدب، كما احتقروا القصة، واحتقروا ألف ليلة وليلة، وقصة عنترة ونحوها، ولم يعرها الأدباء الراقون اهتمامًا إلا في الأيام الأخيرة، فكان "حافظ" إذ قال شعرًا في فكاهة أو مزح عدَّه من سقْطِ متاعه، ولم ينظر إليه عندما يتخير شعره للنشر أو التدوين، ويعقب "أحمد أمين" على هذا التفسير بقوله: "ولو أتيح له أن يُدخل كثيرًا من فكاهته في شعره لربحنا من وراء ذلك الشيء الكثير..." [1]، فقد بلغت الفكاهة في شخصية حافظ –بحسب أحمد أمين– أن يعدَّه أصحابه بهجة الأندية وزينة المجالس.

وليس بعيدًا عن ذلك ما ذكره "أحمد أمين" في موضع آخر من المقدمة تعليلًا لما وصفه نقص تنوع العاطفة لدى "حافظ إبراهيم"، وهو يفسر ذلك بأن "طبيعة حافظ كانت مخالفة تمام المخالفة لمظهره الخارجي، فقد كان مظهره الخارجي ضحوكًا مرحًا، لا يراه الرائي حتى يضحك من ضحكه، ولا يكون في مجلسه حتى يملأه سرورًا وضحكًا، ولكنه في أعماق نفسه حزين، كالشمعة تضيء وهي تحترق، أو كالممثل يجيد تمثيل دور الضاحك وهو في نفسه ربما يذوب حسرات..." [2]، فكأن هذه العاطفة المتألمة قد وافقت طبعه الحزين، وشكواه الزمن، وبكاءه حال الوطن والأمة.

وقد ارتكز "أحمد أمين" على هذا المنهج والتفسير ذاته حين رأى الشعر الوطني لدى "حافظ" يدور بين التفاؤل والتشاؤم، وعدَّه يجيد في ثانيهما أكثر من الأول، يقول: "أجاد حافظ في التشاؤم الترهيب والتقريع

١- "مقدمات أحمد أمين" ص٥٤.

٢- المرجع السابق ص٧٤.

أكثر مما أجاد في التفاؤل والترغيب والتشجيع؛ لأن الضرب الأول أنسب لحزنه، وأقرب إلى نفسه، والثاني يحتاج إلى مقدار كبير من الأمل، والأمل يحتاج إلى سرور وهو قليل في نفسه، فخير شعر حافظ ما اتصل بعاطفته الحزينة، أما فرحٌ بالطبيعة ، وفرحُ بنفسه ونحو ذلك مما ينبعث من عاطفة السرور، فلم يكن له مجال في شعره، فكأن عاطفته القوية بحثت لها عن الثوب الذي تلبسه حتى عثرت عليه...". [١]

لكن "أحمد أمين" في موضع آخر من المقدمة يرصد لـ"حافظ إبراهيم" شعرًا وطنيًا متفائلًا من مثل قوله في "سعد زغلول":[٢]

النسر يطمع أن يصيد بأرضنا سنريه كيف يصيده زغلولُ

ويَعدُّ "أحمد أمين" ذلك اضطرابًا في شعر "حافظ" الوطني بين التشاؤم والتفاؤل، ثم هو يفسره بالتناغم مع حال الأمة المضطرب بين اليقظة والنوم، والعمل والتواكل، والإصابة والخطأ، "فهو صدى لها في حركاتها، وهو المدرس الحكيم الذي يأخذ موضوع درسه من حوادث يومه".[٣]

والحق لا أجد في الشعر الوطني لـ"حافظ" اضطرابًا لاسيما فيما عرض "أحمد أمين" في تقديمه الناقد، وإذا كان من اضطراب ففي ذلك النقد الذي نفى في موضع من المقدمة أن يكون لـ"حافظ" شعر متفائل ثم عاد في موضع آخر ليثبت اضطراب شعره بين التفاؤل والتشاؤم.

وفي منهج نقدي تفسيري داعم لـ"حافظ" وأكثر ميلًا لجهة الفن يعلل "أحمد أمين" ما وصفه ضعفًا للخيال في شعره يقول: "ما ذنب حافظ؟

١- "مقدمات أحمد أمين" ص٧٤

٢- "ديوان حافظ إبراهيم" ١/١١٠، والبيت من بحر الكامل.

٣- "مقدمات أحمد أمين" ص٦٥.

ونبوغه إنما كان في ثورته، وإجادته في فورته، وطبيعته وتعليمه ودربته تدعو إلى النبوغ في سياساته واجتماعياته، لا في غزله وخمرياته، وما يعيب الموسيقا أن يكون مَلِكَ العود وليس مَلِكَ الكمان أو الناي، فمَلِكٌ في إحداها خير عندي من سوقة في جميعها...". [١]

فهو يعد تعليم "حافظ إبراهيم" ودربته وخلفياته الثقافية وطبعه الثوري هو ما وجه شعره نحو واقع وطنه وهمومه ومن ثم أضعف لديه جانب الخيال، وربما يسلم هذا النقد التفسيري لصاحبه، وإن كنت لا أُسَلِّم له إطلاق الحكم بضعف خيال "حافظ إبراهيم" لاسيما في معرض التقديم والتصدير لديوانه، ذلك أن لحافظ إبراهيم من الصور الفنية ما يطعن في هذا الحكم الناقد ويثبت لـ حافظ أثرًا قويًا للخيال أداة فنية رئيسة في بناء شعره. [٢]

١- المرجع السابق ص٧٢.

٢- على ما أسلفت تفصيله في هذه الدراسة في مبحث النقدات الفنية ونقد الخيال ص.

المبحث الخامس

درس النقد الشخصي

حين يرِدُ النقد الشخصي في العمل النقدي يغلب أن يأتي برؤية تعتمد في النقد "المنهج النفسي"، حيث "تحليل شخصية الأديب من خلال أدبه، وسماته الشخصية بتطبيق ما يتلاءم من نتائج علم النفس الحديث على النتاج الأدبي".[١]

وفي مقدمته الناقدة لديوان "حافظ إبراهيم" ارتكز "أحمد أمين كثيرًا على المنهج النفسي بهذا المعنى لاسيما فيما عرض من بعض الظواهر الشخصية لـ"حافظ إبراهيم" والتي كان لها –بحسب "أحمد أمين"– بالغ التأثير في شعره.

وقد جاءت هذه الظواهر بين ما هو لـ"حافظ إبراهيم"، ومن ثم أسهم في شعره إيجابًا ونماءً، وبين ما هو عليه، وجاء تأثيره في شعره سلبًا ونقصًا، فمن الأول: ما كان في غير موضع من المقدمة ويصف فيه "أحمد أمين" "حافظًا" بأنه صاحب حافظة قوية، يقول: "فإذا جلست إليه أخذ يسمعك من محفوظه ما يبهرك، حتى لقد خُيِّل إليَّ أنه لو دوَّن ما يحفظه لفاق أبا تمام في اختياره (ديوان الحماسة)؛ إذ كان "حافظ يتخير بذوق الحس وروح العصر، وكان له حافظة قوية تسعف ذوقه، وتلبي اختياره، فما يختار جيدًا من القول حتى يرتسم في حافظته، ويبقى في ذاكرته، ثم يتجلى ذلك في شعره..." [٢].

١- ينظر مقدمة كتاب "علم النفس الأدبي" – ص (أ) – د/ إبراهيم فضل الله – ط. دار الفارابي– بيروت ٢٠١١م .

٢- "مقدمات أحمد أمين" ص٥٧.

فقد جاء "حافظ إبراهيم" بهذا الوصف سميًا لاسمه، وكأن أبويه حين سمَّياه تيمَّنا بما سيؤول إليه حاله من النبوغ والحفظ، وليس ذلك فقط باعث ذاك التيمن وإنما أيضًا ما ورد في مقدمة الديوان، وفي غير مرجع حَدَثُ مولده في "دهبية" على صفحة النيل، فكأنه إيذان بلقبه الذائع والأسير "شاعر النيل"، وبحسب "أحمد أمين في المقدمة" كان هذا إرهاصًا لطيفًا، وإيماءً طريفًا: إذ شاء الله ألَّا يولد (شاعر النيل) إلا على صفحة النيل، ولاشك أن الأدباء والنقاد حين يرصدون مثل هذا التَيمُّن لدى "حافظ إبراهيم" فإنهم كذلك يرمون إلى أثره في شعره وشاعريته، حيث جاءت حافظتُه غذاءً لذهنه، وجاء النيل الطاهر مدادًا لقلبه وقلمه، وجاء واديه الخصيب مائدة كبرى لكل قاطنيه.

وكذلك من النقد الشخصي في المقدمة ما وصف به "أحمد أمين" "حافظًا" بأنه صاحب نفس شاعرة، وحس مرهف، ونادرة مستملحة، وعلى الرغم من أن الصفة الأخيرة في شخصيته لم يكن لها أثر بالغ في شعره إلا أن "أحمد أمين" أفاض الحديث عنها في غير موضع من مقدمته الناقدة، ومن ذلك قوله: "أبت إرادة الله إلا أن تجد لثوران نفسه منفذًا، ولشقائه مسعدا فمنحته القدرة الفائقة على الفكاهة الحلوة، والنادرة المستملحة، فضحك من البؤس، ومن الشقاء، ومن كل شيء؛ وكان له ذوق بارع في اختراع النكتة من كل ما يدور حوله، فما يسمع حديثًا، أو يَعرِض أمامه شيء حتى يدرك منه موضع الفكاهة..."[١].

وأمام هذه السمات الطيبة ذات الأثر الإيجابي على شخصية "حافظ إبراهيم" ومن ثم على شعره ذكر "أحمد أمين" في مقدمة الديوان عددًا من

١- "مقدمات أحمد أمين" ص٥٣.

الصفات التي احتسبت على شخصيته، وجاء تأثيرها سلبًا على شعره وفنيته، ومنها ما ذكره على لسان المؤرخ الأستاذ "عبد الوهاب النجار"[١] أن "حافظًا" "كان كثيرًا ما يشكو الدهر ويندب سوء الحظ، ويتبرم بأحداث الزمن، ويتمنى لو يوافيه حِمامه"[٢]، وذكر مما يدل على ذلك في شعره قوله: [٣]

عجبت لِعُمْرِي كيف مدَّ فطالا وما أثرت فيه الهمومُ زوالا

وللموت مالي قد أراه مباعدًا وجل مرادي أن أوَسَّد حالا

فلَلْموتُ خيرٌ من حياة أُرى بها ذليلًا وكنتُ السَّيدَ المفضالا

وقد ردَّ "أحمد أمين" إلى هذا الشعور الدائم بالأسى في نفس "حافظ" ما بدا من عمق ألمه، وحزن عاطفته، وما تمليه على شعره من تصوير الهم والبؤس والشقاء.

وكذلك مما احتسب "أحمد أمين" من صفات النقص في شخصية "حافظ" أنه "غير منظم في عمله، ولا حريص على تدوين شعره، فيكتبه في ورقة حيثما اتفق، ويلقيها أيضًا حيثما اتفق، فضاع كثير منه، ولولا فضل الصحف والمجلات في نشره والاحتفاظ به لما بقي من شعره إلا القليل..."[٤]، ولاشك أنْ كان لهذا أثره وتبعاته بعد في جمع شعره وتدوينه

١- عبد الوهاب بن أحمد النجار (١٢٧٨-١٣٦-هـ=١٨٦٢-١٩٤١م): عالم، وأديب، ومؤرخ ، وفقيه مصري، تخرج في مدرسة دار العلوم، واشتغل بالمحاماة الشرعية، ثم مدرسًا للأدب فأستاذًا للتاريخ الإسلامي في الجامعة، من مؤلفاته: "قصص الأنبياء"، و" تاريخ الخلفاء الراشدين". [ينظر: "معجم المؤلفين"- عمر رضا كحالة- ٦/٢٢٠- ط دار إحياء التراث العربي- بيروت دون تاريخ]

٢- "مقدمات أحمد أمين" ص٤٧.

٣- الأبيات من بحر الطويل وردت في المرجع السابق، ويبدو أن أحمد أمين حكم بسلبيتها إلى حد أنه لم يوردها في الديوان.

٤- "مقدمات أحمد أمين" ص٧٧.

سواء في حياته أو بعد مماته، ذلك أن "حافظًا" "جمع في حياته بعضًا من شعره معتمدًا على ما نُشر في الصحف والمجلات، وعلى ما كان منه عند الأصدقاء، ولكن وقف في ذلك عند أجزاء ثلاثة صغار، نُشر الأول منها سنة١٣١٩هـ مع تعليقات قيمة بقلم محمد إبراهيم هلال بك، ونشر الثاني سنة١٣٢٥هـ، والثالث سنة١٣٢٩هـ، فأما شعره بعد ذلك فلم يُجمع في حياته، وحين توفي حافظ جمع الأديب الدمشقي (السيد أحمد عبيد) طائفة من شعره لم تنشر في ديوانه، ونشرها في دمشق سنة ١٣٥١هـ ...".[١]

ويعلق "أحمد أمين" على هذا العمل كله بأنه "لم يكن كافيًا لجمع شعره مما اضطرهم إلى تصفح المجلات عددًا عددًا من يوم أن نُشر لحافظ شعر بحثًا وتنقيبًا، كما أنهم طلبوا إلى القراء أن يرسلوا ما احتفظوا به من شعره، فتم لهم ما ضمَّنوه ديوانه..."[٢]، وعزا "أحمد أمين" ذلك كله إلى ما وصف به شخصية "حافظ" من الإهمال وعدم النظام وعدم الحرص على العمل، وهي صفات لاشك في أثرها السلبي على فنه.

وليس بعيدًا عن النقد الشخصي ما وصفه به في موضع آخر من المقدمة: أنه كان ملول الطبع كما تدل علي ذلك سيرته حيث "عمل في المحاماة فلم تعجبه، واشتغل في البوليس فمَلَّه، وفي الجيش فسئمه، ولولا أنه كان حرًا طليقًا في دار الكتب لملَّها أيضًا، ثم كان هذا الإهمال في حياته الأدبية والمحافظة على شعره حتى أنه ربما لم يكن يهتم أن يكون في بيته دواة وقلم، وتبع ذلك عدم محافظته على مكتبته حتى إنه حين وافته المنية لم يكن في بيته من الكتب سوى "تذكرة داود"؛ لأنه في سنيه الأخيرة كان

١- "مقدمات أحمد أمين" ص٧٧.

٢- المرجع السابق.

دائم الشكوى من العلل وتوهم المرض، وكتاب "تفسير الأحلام" لابن سيرين؛ لأنه كان يعتقد في الرؤى وأثرها في الحياة...".[١]

وحين يذكر "أحمد أمين" هذه الصفات ناقدًا يؤكد أثرها السلبي على شخصية "حافظ" وفنه، لكن النصفة تقتضي القول أنها من وجه آخر ربما تكون أسهمت بنصيب في مِراسه ودُربته، لاسيما تنقُّله بين الوظائف والأعمال التي بدأها بالمحاماة والتنقل بين مكاتبها، ثم العسكرية والتنقل بين الحربية والداخلية، ثم أنْهاها بالعمل في دار الكتب حتى بلوغ سن التقاعد، ولاشك أن رحلة عملية بهذا التنوع والثراء يمكن عدها خلفية اجتماعية لثقافة "حافظ إبراهيم" وخبرته بالحياة، ومن ثم ينهض دورها في شعره وفنيته.

لكن التأثير السلبي الأكبر في شعر "حافظ" ربما يأتي فيما رآه "أحمد أمين" من خوف وتوجس يلازم شخصيته لاسيما بعد توديعه سن الشباب إذ أَلِفَ حب الأمن واعتاده، ومن تأثير ذلك على شعره –بحسب "أحمد أمين"– أنه كان "لا يقول شعرًا يُغضب به أحدًا من ذوي السلطان خشية أن يزحزح عن منصبه، أو يناله أذى، وإن قال شعرًا سياسيًا أخفاه ولم ينسبه إلى نفسه...".[٢]

وقد أفاض "أحمد أمين" في تفصيل هذا الوصف، ومما ذكره أمثلة لذلك وتدليلًا ما جاء أن حافظًا "نظم قصيدته في مظاهرة السيدات سنة١٩١٩م، لكنها نشرت في منشور من غير اسمه، ولم تنشر باسمه في الصحف إلا سنة١٩٢٩م حين أمن عاقبة نشرها، وكذلك قصيدته التي قالها حين خيف على الآستانة من احتلال الأجانب لم تنشر إلا سنة١٩٣٢م، وما قاله من شعر سياسي في ذلك العصر –صراحة– هادئ لين، أو في

١– المرجع نفسه ص٥٨.

٢– "مقدمات أحمد أمين" ص٥٥.

ظروف تحميه..."[١]، بل إن أحمد أمين" أورد –في المقدمة– شعرًا لـ"حافظ" يخالف منهجه، ويطعن في وطنيته، ولا يجري مع ما عُرف من حماسته وثورته، مثل خطابه للسلطان حسين يطلب إليه أن يوالي الإنجليز ويهادنهم ويصل ودهم، يقول:[٢]

ووالِ القـــومَ إنهـــم كـــرامٌ ميـــامينُ النقيبـــةِ أيـــنَ حلُّـــوا

ولـيس كقـومهم فـي الغـرب قـومٌ مــن الأخــلاق قــد نهلــوا وعلُّــوا

وإن شـــاورتَهم والأمـــرُ جـــدٌّ ظفـــرتَ لهـــم بـــرأيٍ لا يـــزِلُّ

فمــادِدْهُم حبــال الــودِّ وانهــضْ بنـــا فقيادُنـــا للخيـــر ســـهلُ

ولا تخفى دلالة ذلك كله على ما وصف به "أحمد أمين" شخصية "حافظ" من ملازمة التوجس والخوف، إلا أن أكثر ما ذكر تدليلًا واقعيًا على ذلك تصريحه أن "حافظًا" أنشده قبيل وفاته قصيدته في وصف وزارة "إسماعيل صدقي باشا" والتي مطلعها: [٣]

قــد مــر عــامٌ يــا ســعادُ وعــام وابــنُ الكنانــةِ فــي حمــاهُ يُضــام

وقد جاءت القصيدة في نحو مائتي بيت، ويحكي "أحمد أمين" أنه أشار على "حافظ" بنشر القصيدة أو إملائها أو توثيقها بأية طريق، إلا أنَّ ردَّه جاء: "إني أخاف السجن، ولست أحتمله".[٤]

وبين صفات السلب والإيجاب ذكر "أحمد أمين" في مقدمة الديوان صفات لشخصية حافظ تبدأ راشدة لكنها تتحول لتنقم عليه، وأهمها حين رآه "لا يقيم للمال وزنًا، فهو كريم واسع العطاء، ذاق طعم البؤس، فعرف موقعه

١- المرجع السابق.
٢- "ديوان حافظ إبراهيم" ٧٠/١، والأبيات من بحر الوافر.
٣- "ديوان حافظ إبراهيم" ١٠٥/٢، والأبيات من بحر الكامل.
٤- "مقدمات أحمد أمين" ص٥٦.

من الناس، فسخت كفه، وندیت راحته، حتى لو ملك الدنيا كلها لجاد بها في يوم واحد، قد يعرض له الفقير البائس فيسمح له بما في يده وهو أحوج ما يكون إليه لسدّ رمقه وتفريج همه...".

فهو كرم حاتمي يذكرنا بكريم طيء الذي جاد بسهمه لعدوه في المعركة، وحين انقضَّ به عليه وأنقذه قومه.. لاموه على فعلته، قال: علمت ما سيكون من لؤم السائل، ولكن ما جزاء مَنْ يقول: يا حاتم هب لي؟؟.[١]

فهو كرم يحتاج أن يترشد ويوضع في نصابه الصحيح حتى لا يتحول نقمة على صاحبه، فقد وصف "أحمد أمين" "حافظًا" بأنه "كما كان كريمًا على الناس فهو كريم على نفسه، يمتعها بما تشتهي ما وجد إلى ذلك سبيلًا، فيأكل خير ما يؤكل، وقد عرف إخوانه بيته بذلك، يستمتع بكل ما تصبو إليه نفسه، فإذا فرغ جيبه عرف كيف يصبر؛ له يد صناع في الكسب، خرقاء في الإنفاق؛ خير أيامه وهو (موظف) بضعة أيام في أول الشهر، ثم لا شيء، فإذا لم يكن (موظفًا) فخير أيامه ما استفاد فيها مالًا فحسب، لو كان تاجرًا لأضاع رأس ماله في أول شهره ثم أعلن إفلاسه، ولو وضع ميزانية دولة لجعل الإنفاق كله في أيامها الأولى ثم لا إنفاق...". [٢]

والحق لا أكثر من ذلك دلالة على النعمة حين تتحول إلى نقمة على صاحبها حيث الكرم وقد فاض عن حده إلى درجة قريبة من الطيش والسفه، ولا نعرف أكان "أحمد أمين" متظرفًا كالجاد أوجادًا كالمتظرف حين ذكر في ذلك " أن حافظ إبراهيم كان يقترح على الحكومة أن تمنح موظفها أكبر مرتب أوَّل استخدامه ثم تنقصه شيئًا فشيئًا كلما تقدمت به السن، لا أن تعطيه مرتبًا يزيد مع القدم، وكان يعلل ذلك بأنه يبدأ وظيفته وهو يبدأ شبابه، وهو زمن الإنفاق، فإذا هرم ثم شاخ يكفيه القليل، وحسبه من غنى

١- ينظر: "نوادر الكرام"- الفصل الثالث، موقع: www.hindawi.org.

٢- "مقدمات أحمد أمين" ص٥٥.

شبع وريٌّ..." [١]، ولاشك أن هذا لا يتفق مع كرم أو بذل، وإن اتفق لحافظ فإنما يتفق مع ما عرفت به شخصيته –وأورده "أحمد أمين" في المقدمة– من ميل للفكاهة واستملاح النكتة.

ولعل من النقد الشخصي بين الإيجاب والسلب يأتي كذلك "في المقدمة" وصف "أحمد أمين" لـ"حافظ إبراهيم" بسعة الصدر والترحاب بنقد شعره، ولكن في جلسة فردية وبعيدًا عن الناس، وتتحول هذه الأريحية إلى ضيق وتبرم وغضب حين يوجه إليه هذا النقد أمام الناس، فهو حريص على شعره وفنه أكثر من حرصه على شخصه، حتى لأحب إليه أن تهجوه من أن تهجو شعره.[٢]

ولعل أكثر ما يَسْلَم هذا النقد الشخصي لصاحبه، ويصدق على شخصية حافظ في زمن تَقَدُّمِ سِنِّه بعد أن فارقه سن الشباب واستقبل شيخوخته، أما زمن الشباب وما أثر عن "حافظ" فيه من شعر الوطنية والشعر السياسي فلاشك في تعارضه مع هذا الوصف بملازمة شخصية "حافظ" للتوجس والخوف، لاسيما وأن زمن شيخوخته هو الزمن المَعْنِيّ لدى "أحمد أمين" في الوصف بنضوب شعر "حافظ" وجمود قريحته إلا نادرًا[٣]، فلعل الخوف على قوته ووظيفته هو ما أملى عليه هذا الجمود، وكان سببًا رئيسًا في ذلك، وهو ما يتلاءم كذلك مع ما وجهه "أحمد أمين" –على مرِّ المقدمة– من نقد لـ"حافظ إبراهيم" في قعوده عن كثير من أغراض الشعر وتحجيم انطلاقة شعره خوفًا من مؤاخذة هنا أو لوم هناك.

١– المرجع السابق.
٢– المرجع نفسه ص٥٦.
٣– "مقدمات أحمد أمين" ص٥٦.

خاتمة البحث

الحمد لله متم الطيبات، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه المهديين الهداة، أما بعد:

فقد استطاع "أحمد أمين" في مقدمته لديوان "حافظ إبراهيم" تقديم فهم عميق لدور النقد، والتعبير عن رأيه الناقد، وعرض رؤيته الواعية لشعر "حافظ" لاسيما وهي مستقاة من معاصرته، ولقائه، والحديث معه، والجلوس إليه، وربما صداقته، وقد ضمَّن "أحمد أمين" مقدمة الديوان فكرًا نقديًا جادًا، يتزيّا عباءة النقد الواعي ويتغيّا أهدافه، ويراعي مناهجه قصدها أو لم يقصد.

وقد عمدتْ هذه الدراسة في التنظير النقدي إلى رصد هذا الفكر، وتأكيده وإقامة الأدلة عليه، ورده إلى ما يتفق من مناهجه الأصيلة، وها قد انتهت هذه الدراسة وربما لم يتبق منها سوى ما أسفرت عنه من نتائج وتوصيات أهمها:

- تؤكد هذه الدراسة وضوح الرؤية النقدية لـ "أحمد أمين" في المقدمة، وكذلك تؤكد جدارتها بالدرس والتحليل، وترى أنَّ تقديم هذه الرؤية تقديرًا لقيمة الأدب وتأديةً لحق النقد.
- جاءت ملامح الرؤية الناقدة لـ"أحمد أمين" في مقدمته لديوان "حافظ" مستحضرة عددًا من مناهج النقد الحديثة أهمها: مناهج النقد الموازِن، والنقد الفني، والموضوعي، والتعليلي، والنفسي، وسواء عمد إليها صاحبها أو لم يعمد فلاشك في حضورها القوي وصياغتها للرؤية الناقدة للديوان.
- ظهر جليًا من هذه الدراسة ما تستند إليه مقدمة "أحمد أمين" لديوان "حافظ إبراهيم" من أسباب صحيحة للنقد غير مزيفة ولا متكلفة، ترتكز على تجربة ودربة وممارسة اكتسبها "أحمد أمين" من مقدمات وتصديرات كثيرة كتبها، وأخرى كتبها آخرون.

- جاء النقد الموازِن أعلى ملامح هذه الرؤية مما يعد ظاهرة نقدية ومنهجية واضحة في نقد "أحمد أمين"، وكان من الطبعي أن يأتي أكثره –في المقدمة– بين "حافظ إبراهيم" وصنوه الأمير، ثم بينه وبين غيره.
- لعل "أحمد أمين" في مقدمته قد رضي لـ"حافظ إبراهيم" تقديم نفسه على شعراء عصره، ذلك أنه حين يبدو منتقدًا "حافظًا، فبأسلوب التعليل والتفسير والتماس الأعذار والتبرير، ولا يعفي من هذا الرأي ما رصدته الدراسة من قسوة في النقد في بعض الأحايين لاسيما فيما وصف به "أحمد أمين" قعود "حافظ" عن كثير من أغراض الشعر، وتحجيم انطلاقة شعره خوفًا من السلطة والتنكيل.
- رصدت الدراسة ملامح صورتين غير منفصلتين، الأولى: "شخصية" لنفس "حافظ إبراهيم"، والثانية: فنية لشعره، وذلك من خلال ما ضمنه "أحمد أمين لمقدمة الديوان من نقدات فنية للديوان، وشخصية لصاحبه.
- وأخيرًا تؤكد هذه الدراسة على أهمية التصديرات الأدبية والمقدمات وجميع العتبات؛ لما تضمه من ملامح ناقدة جادة وأصيلة يمكنها الأخذ بيد المتلقي نحو فهم قريب لنصوص العمل المراد التقديم له، وتوصي الدراسة بتوجه الحركات النقدية نحو هذه المقدمات بالدرس والتحليل والتنظير.

وإذا كانت هذه الدراسة في "مقدمة الديوان" ليست –بطبيعة الحال– الكلمة الأخيرة في رؤيتها النقدية، إلا أنها تحتسب وترجو سلامة المنهج حين ترصد أفكارًا نقدية ترتدي زِيَّ المقدمات والتصديرات، دون سند من قواعد نقدية تحكم دراسة النقد في العتبات،

وعساها هذه الدراسة تمُدَّ يدًا لطَرْق هذا الباب.

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

أولاً : كتب مطبوعة :

١- "إتمام الأعلام"- د/ نزار أباظة، ومحمد رياض المالح- ط دار صادر (بيروت)- الأولى١٩٩٩م.

٢- "الأعلام"- خير الدين الزركلي- ط دار العلم للملايين- الطبعة الخامسة عشرة٢٠٠٢م.

٣- "تاريخ جامعة القاهرة"- د/ رؤوف عباس أحمد – ص٣٤- ط دار النشر الالكتروني www.alkottob.com.

٤- "خليل مطران .. أروع ما كتب"- د/ محمد صبري- ط الهيئة العامة لقصور الثقافة (مصر)- الأولى٢٠٠٤م.

٥- "حافظ إبراهيم شاعر القومية العربية"- محمد هارون الحلو- ط الدار القومية للطباعة والنشر٢٠١٣م.

٦- "حافظ وشوقي"- د/ طه حسين- ط مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة٢٠١٤م.

٧- "الحيوان"- ت: عبد السلام هارون- ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي- الثانية ١٣٨٥=١٩٦٥م،

٨- الرباط الأدبي "نشرة غير دورية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة"- عدد ديسمبر٢٠٠٧م.

٩- "ربيع الأبرار ونصوص الأخبار"- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري- ت: عبد الأمير مهنا- ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت)- الأولى١٤١٢هـ

١٠-"شاعر الشعب وشاعر النيل"- د/ يوسف نوفل- ط الدار المصرية اللبنانية- القاهرة١٩٩٧م.

١١- "علم النفس الأدبي" – د/ إبراهيم فضل الله – ط. دار الفارابي- بيروت ٢٠١١م ..
١٢- "علي وصفية قصة حب وحرب"- للصحفي محمد توفيق- ط دار بتانة للنشر ٢٠٢٠م
١٣-مبادئ في نظرية الشعر والجمال"- ط النادي الأدبي ١٩٩٧م.
١٤-معجم الأدباء"- ياقوت الحموي- ت: د/إحسان عباس- ط دار الغرب الإسلامي (بيروت)- الأولى١٩٩٣م
١٥- "معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى عام ٢٠٠٢م"- كامل سلمان الجابوري- ط دار الكتب العلمية "بيروت"- الأولى ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
١٦- "معجم تراجم الشعراء الكبير"- د/يحيى مراد – ط دار الحديث- القاهرة ١٤٢٧=٢٠٠٦م.
١٧- "معجم المؤلفين"- عمر رضا كحالة- ط دار إحياء التراث العربي- بيروت دون تاريخ.
١٨- "مع المتنبي"- طه حسين- ط دار المعارف- الثالثة عشرة دون تاريخ.
١٩- "مقدمات العقاد"- د/ عبد الرحمن حسن قائد- ط آفاق المعرفة٢٠١٩م.
٢٠- "منهج النقد التفسيري عند الإمام الرضا"- د/ سيروان عبدالزهرة الجنابي، شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، موقع: www.iasj.nel.artical.
٢١- "الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري" – ت: السيد أحمد صقر- ط دار المعارف- الرابعة ١٩٩٢م.

ثانياً : دواوين ومجموعات شعرية :

٢٢- "ديوان أبي حامد الغزالي" -ط المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ٢٠١١م

٢٣-ديوان إسماعيل صبري باشا- صححه وضبطه أ/ أحمد الزين- ط لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م.

٢٤- "ديوان حافظ إبراهيم"-ضبط وشرح: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الإبياري - ط دار العودة- بيروت دون تاريخ.

٢٥- "ديوان المتنبي"- ط دار بيروت للطباعة والنشر-١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

ثالثاً : مواقع شبكة المعلومات الدولية " الانترنت" :

. https://ar.m.wikipedia.org

موقع اليوم السابع: **m.yom7.com .**

موقع مجلة العربي: **www.3rbi.info.com . aljazirah.com**

www.hindawi.org